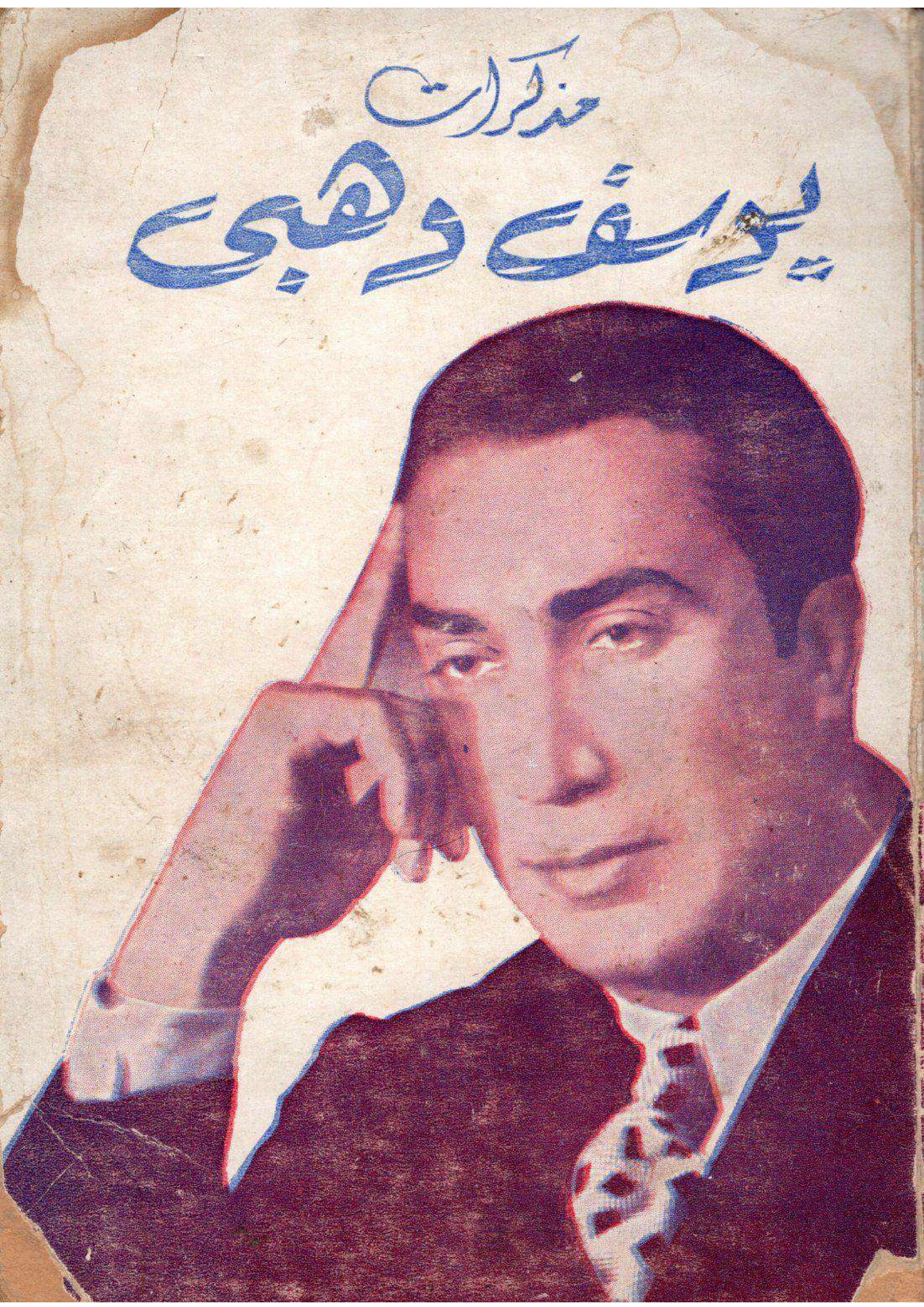

مذكرات
يوسف وهبي

مذكرات
يوسف وهبي

مذكرات

عميد المسرح العربي

يوسف وهبي

إعداد

محمد رفعت

المحامي

نشر وتوزيع

دار الثقافة

بيروت - لبنان


mohamed khatab
mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab
mohamed khatab


mohamed khatab

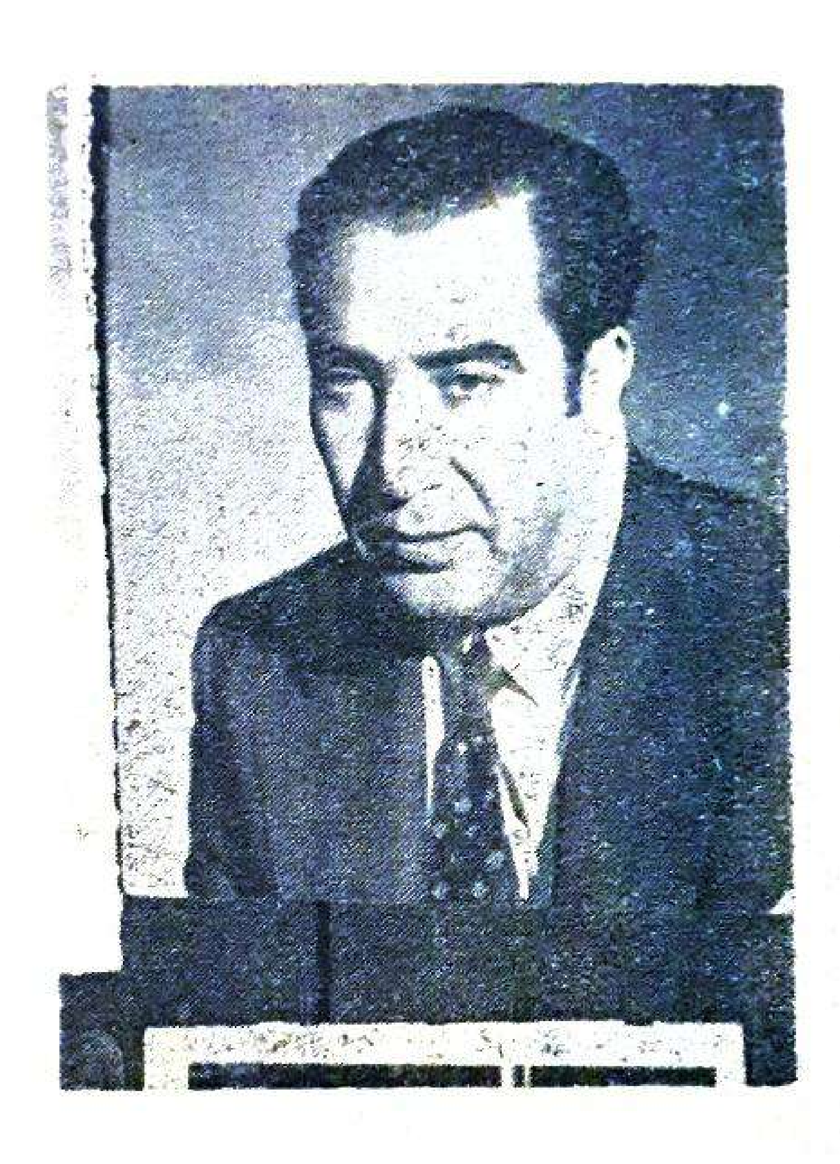

mohamed khatab


mohamed khatab

هذه المذكرات

لا أسمي هذه مذكرات .. ولا أريد ان يأخذها القارىء كسجل عن تاريخ المسرح خلال ثلاثين عاماً .. ولا ادعي انني سألم بكل ما حدث .. بل هي صفحات من تاريخ حياتي، ولمحات عن الماضي البعيد استعنت في كتابتها بالذاكرة فقط .. على انني آليت على نفسي ان اكون صادقاً في كل ما أكتب، ولن احاول تبرير اخطائي الكثيرة، انني بشر كسائر الناس .. لي عيوب ومواطن ضعف .. تعثرت مراراً، وفشلت ونجحت، وجاهدت وكافحت، وأردت ان اكون شيئاً وأن تكون لي رسالة .. فهل يا ترى حققت كل هذا .. ؟ لا .. لقد ثبت لي أن كل ما صنعت، كان محاولات وتجارب .. ولكنني أقسم أنني كنت مخلصاً، وسوف أصف نفسي كما انا، بغير رتوش ولا تنميق، وقد يصدم القارىء لاعترافاتي الخطيرة، وقد يتخذها البعض سلاحاً للاساءة الي .. لا بأس .. ما دام في حياتي عظة ودرس، وما دمت قد حاولت أن اصلح ما في خلقي من نقص، وان تاريخ حياتي مليء بالأحداث والمفارقات .. فليأخذ القارىء من هذه الذكريات عبرة وفائدة .

يوسف وهبي



الفصل الاول

اشتهرت «بجعارتي» من يومي

الايمان يفعل المعجزات

هل في مقدور المرء أن يتحكم في مصيره .. ؟ قالوا ان الانسان مسير لا مخير ، لكنني أقول أن بعض الناس يتحكمون في مصائرهم اذا ما آمنوا بمبدئهم وأخلصوا له .

اردت ان اكون ممثلاً .. فصادفتني أعظم العقبات ، وحوربت فكرتي بكل سلاح مثبط للعزائم .. ولكنني حققت رغبتي وأصبحت ممثلاً .

ثم اردت ان أكون مؤلفاً مسرحياً . . فألفت حتى اليوم ثماني وأربعين مسرحية ، واختلفت الآراء في قيمة هذه المسرحيات وهوجمت بما لم يهاجم به مؤلف من قبل .. ولكن هذه المسرحيات ما زالت تمثل حتى اليوم ، وما زال الجمهور يقبل عليها .

وأردت ان اقوم بنهضة مسرحية .. « مسرح رمسيس »

الذي تفرعت عنه عدة نهضات فنية : مسرحية وسينمائيـة .. وهي نهضات يهيمن عليها بناتي وأبنـائي الذين تخرجوا من مسرح رمسيس .. وعندما أتلفت الآن يمنة ويسرة ، اطرب وتمتلىء نفسي زهواً .. فهذه بيوت أبنائي مفتوحـة لي ، وهم جميعاً يحبونني ... فشكراً يا رب وحمداً .

وانني لأذكر آخر كلمة قالتها المرحومة والدتي قبل وفاتها.. كانت دعوة حارة استجابها سيد الكون ، وكانت عمـادي في أحلك الايام التي صادفتني .

ونظرت ساكنة الجنة الى السماء ، وأمسكت بيدي وتمتمت:

« ولدي يوسف .. حبيب الله فيك الناس .. »

وأشكر الله على أن استجاب دعاءها .. وحسبي أن تركت لي والدتي هذه الثروة الغالية .. حب الناس .

أصل وفصل

أنا يوسف وهبي .. بن عبدالله وهبي .. آخر العنقود لستة أشقاء كلهم صبيان ..

وليد أسرة مطعمة بعناصر شرقية .. وتركية جدي لوالدي تونسي اسمه « هديب قطب » .. وهو ممن نزحوا الى مصر ، ثم استوطن مديرية المنيا ، وعاش في قرية طحا الاعمدة .. وعمر

حتى المائة .

والدتي « شفيقة فهمي » ابنة علي فهمي الضابط في الجيش المصري..ووالدها الحاج علي البغدادي .

اسرة عصامية

فأنا اذن لا أنحدر من اسرة ارستقراطية كما يظن البعض .. بل من عائلة مكافحة ووالد عصامي وصل الى اعلى الدرجات ، ونال رتبة « الباشوية » بكده واجتهاده ، وتعلم بالمجانية في المدارس المصرية ، وتخرج مهندساً من المدرسة الحربية ، وذاع صيته كأخصائي في الري ..

وقد قام والدي بأضخم المشاريع الحكومية في اصلاح الاراضي المصرية .. فهو الذي شق ترعة وهبي في الفيوم، وحول أراضيها الرملية الى ارض خصبة ، وجفف ترعة البحيرة ، وخطط اراضي الحياض والدائرة السنية في الصعيد ، وقد نال شهرة عالمية ، فاستشارته بلاد المكسيك والبرازيل وشيلي في مشاريعها الزراعية الكبرى .

والدي والحركة الوطنية

وقد ساهم والدي في الحركة الوطنية فاضطهده الانجليز ،

وعاداه اللورد كتشنر وأجبره على الاستقالة عندما أعلن ولاءه للخديو عباس حلمي .. وقد تخاذل الخديو أمام رغبة الانجليز في التخلص من عبدالله وهبي ، فولى له ظهره .

كما تآمر على والدي بعض الوزراء المصريين الذين كانوا يمالئون المستعمر والذين كانوا قد أكلت الغيرة قلوبهم من شعبية عبدالله وهبي وحب الفلاحين له . اولئك الفلاحون الذين كانوا اذا ما زارهم والدي في بلاد الوجه القبلي لتفقد شؤون الري ، خرجوا بالالآف لاستقباله بالاغنية المشهورة : شوية ميـة من الله .. وشوية من عبدالله .

وكان والدي أول من ناصر سعد زغلول ... وقد عرضت الوزارة عليه عدة مرات فكان جوابـه المعروف « لن ادخل الوزارة ، ما دام زمام الآمور في يد المستعمر » .

ولدت في عيد الحرية

وقد ولدت في ١٤ يوليو عام ١٩٠٠ بمدينة الفيوم على بحر يوسف الذي يتفرع من النيل السعيد ، ولهذا اطلقوا علي اسم « يوسف » .

و ١٤ يوليو هو يوم تحطيم « البـاستيل » في فرنسا ، وعيد الحرية فيهـا .. فأنا اذن ممن رأوا النور في يوم خالد ثائر ،

امتزجت فيه الدموع بالدم والمآسي ..! فهل كان لهذا ارتباط بشهرتي .. في المأساة ، وثورتي على الاوضاع الجائرة ومحاربتي للظلم والاستبداد ، ومناصرة الشعب في كل ما كتبت من مسرحيات .. ؟

وكان أول ما طرق أذني ، تلك الاصوات الناتجة الصادرة من سواقي الفيوم الشهيرة .. وقالت لي امي رحمة الله عليها ، انني ما ان خرجت الى هذه الدنيا حتى علا صراخي وبكائي .. وانه لم يمض على مولدي بضع ساعات، حتى لدغتني نحلة في أنفي، فدوت « جعارتي » بشكل أزعج سكان الحي .: فكأنني بهذا بدأت أمرن حنجرتي ، وأشد أوتار مزماري لمهنة اختارها لي عقلي الباطن .

من ذكريات الطفولة

وهل يصدق القارىء انني ما زلت اذكر البيت الذي ولدت فيه ، والغرفة التي اختاروها لي .. ؟

انني اذكر ايضاً مهدي الصغير ، والحلية الزرقاء التي وضعوها على جبيني لكي تقيني من الحسد ..

وأذكر ايضاً كيف بدأوا يعلمونني السير ، وكيف أوقعتني المرضع يوماً على السلم ، فسقطت « أتدحرج » الى صحن الدار

(وما أصلح هذه السقطة لقفلة ستار في احدى المسرحيات)..!

اما والدتي فقد كادت تجن .. ولما عاد والدي من عمله وبلغه الخبر، اكتفى بحمدالله على نجاتي ولم يوجه الى المرضع كلمةعتاب.

واذكر ايضاً انهم قدموني الى رجل اشقر أزرق العينين .. علمت فيما بعد انه مفتش الري الانجليزي، وانني خفت من وجهه الاحمرالقاني ، فعضضته في اصبعه ..!

كتاب العسيلي

ولما بلغت الخامسة من عمري ، ادخلوني « كتاباً » اسمه « كتاب العسيلي» .. ولا أعلم حتى الآن من هو ذلك العسيلي..!

وكان يلازمني في الفصل ابن مدير الفيوم .. وكان يكبرني بسنتين ، وكان طفلا مدللا، ووالدته شركسية، أما والده فكان شرساً الى اقصى حد .. اذ كان يعامل الناس بقسوة وجبروت ، ويجلد ، الفلاحين والاعيان لأتفه الاسباب .. وقد حدث مرة أن ضرب أستاذنا « الشيخ » ابن المدير بالمسطرة لأنه أخرج للاستاذ لسانه في « الحصة » .. وفي اليوم التالي جاء المديربنفسه، ودخل « الفصل » وبصق في وجه الشيخ أمامنا ، وصفعه صفعة أطارت عمامته ..!

ابن المدير وابن الفلاح

وحدث ذات يوم أن دعت زوجة المدير والدتي لنزهة في الحقول ... وصحبت زوجة المدير ابنها ، واخذتني والدتي أنا وشقيقي علي . . وركبنا عربة المدير المطهمة ذات الجياد « المسكوفي) . . وسارت بنا العربة وسط المزارع حتى وصلنا الى قرية قريبة من بحيرة قارون . واختارت زوجته المدير بقعة جميلة بجاورة لغدير .. وتحت ظل شجرة وارفة بقرب قنطرة ، جلسنا لتناول الغذاء .

وعلى القنطرة جلس صبي من أبناء الفلاحين يصطاد السمك ، وقدتدلت ساقاه في الماء وهو يغني وتقدم ابن المدير من الصبي وأراد ان ينتزع منه سنارته ليعبث بها .. وتمسك ابن الفلاح بعصا السنارة رافضا التنازل عنها ، فدفعه ابن المدير ليلقيه في الغدير .. وكان أن نهره الصبي بغلظة ، فثارت زوجة المدير الشركسية ، وأمرت السائق بأن يلهب ظهر الصبي بكرباج العربه ويجلوه عن القنطرة.

وانهال السائق بالكرباج على الصبي الذي صاح مستنجدا ، فأسرعت أمه التي كانت قريبة من المكان لنجدته .

و « فقعت » الام صوتا داويا ، فإذا بعشرات من الفلاحين يحضرون مسرعين وهم يحملون الهراوات والفؤوس مهددين .

هروب ومطاردة

وبسرعة البرق ركبنا العربة ، وانهال السائق بسوطه على

ظهور الخيل فانطلقت بسرعة جنونية فوق الجسر ، ولجأنا الى منزل الحمدة ، وكان جالساً على أريكة خشبية أمام داره على عادة الأعيان في ذلك العصر . . وما أن عرفته زوجة المدير حتى أمرته بأن يطلب من الخفر اطلاق الرصاص على المهاجمين الذين ظهرت طلائعهم بالمئات على الجسر .

ولكن أهل القرية أمسكوا بأعنة الخيل عندما عرفوا أنها زوجة المدير العاتي وقد أضمروا الشر . وألهم الله المرحومة والدتي فصاحت فيهم : « هكذا تسيئون الى حرم عبدالله وهبي وولديه؟» .

وكان أهل القرية يحبون والدي .. فما أن علموا أن التي تحدثهم هي زوجة عبدالله وهبي الباشمهندس ، حتى سارعوا لصد المعتدين . . وصرخ أحدهم في زوجة المدير قائلا : « والله .. لولا شفاعة حرم الباشمهندس ، لعرفنا كيف نعاملك » .

اعتذار وانتقام

وعدنا الى الفيوم نرتجف هلعا . . وقصت والدتي على والدي ما حدث ، فغضب من سوء تصرف زوجة المدير .

وفي اليوم التالي حضر وفد من الفلاحين ليقدموا الاعتذار لأبي ، فأحسن استقبالهم واعتبر الحادث منتهياً .

أما المدير العاتي .. فما أن علم بالخبر ، حتى أرغى وأزبد ،

وأرسل حملة من الشرطة المدججين بالسلاح وأشعلوا النار في القرية ، وانهالوا بالسياط على سكانها رجالا ونساء وأطفالا ، وأتلفوا الزرع وذبحوا الماشية . . ثم زج بالعمدة وعشرين من الأعيان بالسجن ، وأمر بجلدهم في ساحة البندر .

ولم يكتف المدير بذلك . . بل طلب من والدي ، أن يمنع عنهم ماء الري ، فرفض والدي ، وثار على تصرفات المدير . . فوقعت بينهما مشادة وقطيعة ، وأرسلت نظارة الداخلية مفتشا انجليزيا للتحقيق . ولغرض في نفس يعقوب ، انتصر المفتش للمدير ، ولم يشأ التدخل للحد من شراسته .

من الفيوم الى سوهاج

واكفهر الجو ، وصدر الأمر بنقل والدي من الفيوم الى سوهاج ، وكانت حفلة وداعه لا مثيل لها . . وكان الأعيان يودعونه باكين . . كيف لا وهو الذي شق « ترعة وهبي » . وبنى في المدينة جامعا ومدرسة ، ورفع سعر الفدان من الارض بمشروعه العظيم الى خمسين ضعفاً .

وتقدم أحد الأعراب في أثناء الحفلة بحجة ببيع مائة فدان الى أبي على سبيل الهدية ، فمزقها وعانقه بين هتاف الفلاحين وبكائهم . وقد اقترن نقل والدي الى سوهاج بترقيته مفتشاً للري . .

وهكذا حللنا في هذه المدينة الحبيبة الى نفسي .. والتي أحمل لها وأهلها الكرماء أجمل الذكريات .

وكان والدي معروفا في سوهاج ، فقد اشتغل بهـا مهندساً للري مدة طويلة ، ونزلنا في مقر مفتش الري الحكومي ، وهو قصر منيف على النيل تحوطه حديقة غناء . وللقصر ملحق هو « دهبية » راسية أمام القصر ، وباخرة كبيرة يستعملها مفتش الري للتفتيش .

اليوم الخـــالد

وفي سوهاج التحقت بالمدرسة الاميرية الابتدائية .. وذات يوم كنت عائداً من المدرسة ، فسمعت طبلاً وزمراً ، ورأيت موكباً عجيباً .

جوقة موسيقية ، وخلفها فارس أسود ضخم الجثة في زي مراكشي ، تتبعه ثلاث عربات فيها نساء ورجال يلبسون ملابس غريبة . . وكان المنادي يصيح قائلاً : الليلة عطيل البطل المغربي وفارس الفرسان وسيد الشجعان .. الليلة جوقة سليمان القرادحي بطل التمثيل ، واللي واخد من الخديو نشان ، يا ويل الرجالة من النسوان . . يا أهـل سوهاج الكرام ، احضروا تمثيـل البطل

الحمام . . الدخول بقرش وقرشين ، والبريمو بخمس قروش . . فرجة العمر .. شوفوا عطيل اللي الحب هد منه الحيل ، ومن الغدر شاف الويل ، والتشخيص الساعة عشرة بالليل . . !

●



عطيل جعلني ممثلا !

ودون أن أشعر وجدتني أسير خلف هذه القافلة العجيبة ، وأنا أتطلع الى وجوه أفراد الجوقة المطلية بالالوان الفاقعة . . خصوصاً السيدات ، فقد كانت أصداغهن حمراء بلون « التفته ».. ناهيك عن ملابسهن ذات الذيول « الدنتلا » والرجال بشعورهم المستعارة . . . وقد عقدت لساني الحيرة في تعرف شخصياتهم وجنسياتهم .. ولماذا يلبسون هذه الملابس الغريبة ؟ وما العلة في تلطيخ وجوههم ؟ ومن أين أتوا . . ؟ وما هي مهنتهم ؟ . .

ما أقرب اليوم بالأمس

ومن أين لي أن أتكهن بأن القدر سيختارني يوماً لأقود هذا الموكب في يوم من الأيام . . ؟ وأنني سأرتدي هـــذه الاثواب الشاذة . . ؟

لقد بدوا في نظري يومئذ انهم مخلوقات لا تمت للمجتمع بصلة، ولم أفرق بينهم وبين الغجر .. ونبين زين .. ولقد عشت حتى

رأيت ان بعض الناس حتى اليوم ينظرون الى الفنان نظرتي اليه في طفولتي وجهلي .. فما أقرب اليوم بالأمس !

وكان تابعي النوبي الصغير الذي سار خلفي يحمل كتبي أكثر مني دهشة . وزيادة على دهشته ذعره الشديد من شكل الفارس عطيل راكب الحصان . فقداتسعت حدقتاه وصاح في : «سيدي الراجل ده . . شبه أبو رجل مسلوخة ! » .

ودون أن نشعر تبعنا القطيع ،وإذا به يسير في نفس اتجاهنا حتى وصل الى منزلنا . .

وترجل الفارس ودخل السراي . . فصرخ النوبي : «ياما .. دا داخل عندنا » ! وقذف بكتبي وأطلق ساقيه للريح . .

من هو الفارس الأسود

أما أنا فتشجعت ودخلت خلفه ، إلا أنني أمسكت بتلاليب البواب ، ورأيت الرجل الأسود الضخم يصعد درجات السلالم .. فجريت الى باب الحريم ،ومنه نفدت الى القاعة الكبرى متلصصا ، فإذا بالانسان الغريب ينحني على يد أبي مصافحا ، فرحب به والدي ورجاه أن يجلس .. فاقتربت من الردهة وقد دفعني فضول جارف ، فسمعته يحدث أبي بلهجة سورية .. ثم أخرج من صدره رزمة من الاوراق عرفت فيما بعد أنها عدد من تذاكر الحفلة ،

وقد حضر خصيصاً ليرجو أبي أن يوزعها على موظفي التفتيش. ولم يتردد أبي في قبولها . .

ولكن حدث أن لمحني أبي على باب الردهة فناداني . وأبت نفسي أن يبدوا علي الخوف ، فسرت بخطوات ثابتة نحو أبي . . وما أن رآني القرداحي حتى صاح يا ما شاء الله . . تعا هون يا صبي . . الله يبارك . وما أن علم أنني ابن مفتش الري ، حتى انفرجت أسنانه عن ابتسامة . . فبـدا فمه الواسع ، وشفتاه العريضتان ، وهب فاحتضنني . . ولن أنسى مابذلت من مجهود كيلا يغشى علي ، إلا أن الرجل العجيب كان غاية في الرقة والجاذبية . .

لوازم الصنعة . . !

وما أن أحاطني بذراعيه الضخمتين ، حتى شعت الطمأنينة في نفسي وارتحت اليه خاصة وقد أخذ يلاطفني. وصاح : «لا تخاف من ها الدقن يا يوسف .. هيدي شعر خروف . . ! »

وخلع عمامته ونزعها ونوجهه ليريها لي متمماً: « هيدي لوازم الصنعة. وأنا ماني أسود. هادا فحم. وها الحلقان اللي في وداناتي. وكان هالشعر الاكرت هادا . . عيرة .

وانتزع شعره المستعار فبدا رأسه أصلعاً ، ثم أخرج من كيسه المتدلي بجوار سيفه العريض حفنة من الحلوى والملبس ودسها في

جيبي قائلاً : ميشان تحللي هالتم . . تسلملي يا يوسف » .

ودعا الله أن يحميني من عيون الحساد ، ثم رجا أبي أن يصطحبني لحضور التشخيص . . وعاد فارتدى شعره وذقنه وعمامته ، ودعا لأبي بطول العمر لانه قبل أن يأخذ منه ماقدمه له من تذاكر الحفلة ، ثم شيعه أبي الى الباب وتبعتهما طروبا ، وقد أخذت من ظرف هذا الانسان العجيب .

وما أن لحق بأفراد الجوقة والجمهور الذي كان في انتظاره على باب القصر ، حتى صرخ بصوت داو : « اهتفوا معي يا أولاد . . يعيش مفتش الري » فرد الجمهور الهاتف ، وذهبت القافلة علي دق الطبول لتتم طوافها في شوارع سوهاج للدعاية .

تشوم يشا . . !

وانتظرت موعد الحفلة بفارغ الصبر ، وذهبت الاسرة كلها لحضورها .. ودعت والدتي بعض صديقاتها ، بينما اصطحبني والدي مع شقيقي علي . .

وصلنا الى ساحة البندر حيث أقام القرداحي سرداقا أمام بناء المديرية ، فوجدنا خلقا كثيراً . . وكان القرداحي جالساً على منصة عالية بملابس عطيل، وعن يمينه ويساره ممثلان آخران بملابس مزركشة . . وكان القرداحي ممسكا بروحة حمراء وصوته

الجمهوري يطغي على الموسيقى وصياح الغوغاء ، فما أن وقع نظره على العربة ، حتى نادى على الفرقة النحاسية :

– سلام للمفتش . . (نشوك يشا)

فصدحت الجوقة بسلام الخديو ، ونزل القرداحي بعظمته وسار أمامنا ليقودنا الى المقصورة . وكان معي سكرتير أبي الخصوصي ، وهو شيخ أزهري له طابع في غاية الطرافة . . طويل القامة نحيفها ، له لحية أبي نواس وعيني سعيد أبو بكر . . وهيئة دون كيشوت . . ! وكان شاعراً واديباً وفيلسوفا ، وقد اختاره لنا أبي أستاذاً . . فكنا إذا ما تعبنا من الدرس اخترع لنا مختلف المسليات ، فكان يجعل من نفسه جملا أو حماراً أو حصاناً ، ونعتلي ظهره فيمثل لنا ركض كل من هذه الحيوانات . . وينهق ويصهل . . ويقلد الجمل في « ضرب القلة » والبرضعة . . !

ثم وصل مدير المديرية ، فتكررت الحفاوة . . واحتلت والدتي مقصورة من مقاصير الحريم المغطاة « بالدنتلا » .

ثلاثة بريو . . !

ووقع نظري على المسرح لأول مرة . . رأيت أمامي ستاراً من القماش مرسوم عليها حديقة وأعمدة ، وعلقت أمامها فوانيس « لوكس » . . ومن لحظة لأخرى كان يصل الى مسمعي صوت

القرادحي صائحاً « ثلاثة بريمو » .. فيجيبه عامل الصالة : « ابعث » !!

وحل موعد رفع الستار .. وسمعت ثلاث دقات على خشب المسرح ، ثم رفع الستار فإذا بالجوقة كلها مصطفة بملابسها التاريخية نساء ورجالا ، وأمامهم سليم القرداحي .. ثم راحوا ينشدون نشيد الترحيب .. «مرحبا بالسادة النجب .. شرفتمونا يا كرام .. ! »

عطيل وياجو

ونزلت الستار على تصفيق الجماهير الحاد .. وارتفعت مرة أخرى على مأساة أسود البندقية ، فارتفعت الأعناق ترقب ما يجرى على المسرح .. وجرفتني مشاهد المسرحية ، وأخذ بلبي تمثيل « عطيل » الذى راح يزمجر ويهدر . ثم جاء « ياجو » يدس في أذنه سم الريبة في زوجته «ديدمونة» البريئة .. فأمسك عطيل بخصلة من شعر رأسه ، وانتزعها على مشهد من النظارة الذين ارتعدوا من رؤية رجل وبطل يقطع شعره ويقتلعه من جذوره خصلة خصلة .. فبكى من بكى وصرخ من صرخ ، أما أنا فتعالت دقات قلبي ، وصعد الدم الى رأسي .

الصنعة تحكم !

وفجأة ألقى عطيل قصيدة مطلعها :

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتّت

فتش عليها تجدها من النساء تأتت

ثم التفت الى مقاصير الحريم وقال بلهجة سورية طريفة :

— لا تؤاخذونا يا ستات . . الصنعة تحكم . !

ونزل الستار . فإذا بسكرتير أبي ، الشيخ عثماني « حافي الاقدام » ، كما كان يسمي نفسه . . يهب واقفاً ويستأذن أبي في الذهاب لقتل «ياجو» النام . ! وضحك أبي وسخر منه ، ثم التفت الى وقد هاله ارتجافي وقال : « انت خفت يا يوسف . .؟ دا تمثيل ! »

وسألته : « وشعر الراجل اللي نتفه ؟ »

فقهقه أبي وأجاب : « يا عبيط . . دا ملزق شعر عيرة . . »

أما أخي علي فقد جرى الى مقاصير الحريم ، واحتمى بوالدتي من شدة الهلع . . !

الراجل موت نفسه . .

وانتهت المسرحية بانتحار عطيل بعد قتله ديدمونة فارتميت في أحضان أبي باكياً بحرقة وصحت : «الراجل موت نفسه يابابا . . ! »

ولم أنتظر رفع الستار ، ولم أر القرداحي يحيي النظارة . . فقد كنت في حالة يرثى لها . . فما كان من أبي إلا أن أمر سكرتيره فنادى القرادحي ليطمئني على أنه ما زال على قيد الحياة .

ولا يمكنني أن اصف دهشتي من ان الرجل لم يمت فقد رأيته بعيني يغوص بخنجره في امعائه ..

ووصلت الى البيت محموما .. وكان شقيقي علي قد أبى ان يأوى الى الغرفة التي كانت تجمعنا ، وتوسل الى والدتي ان يبيت معها في سرير واحد .. أما انا فقد ارتميت في أحضان مربيتي ومرضعتي الحبيبة رقية .. ورحت في بحران .. وهكذا قضيت ليلة هائلة ... رأيت فيها احلاما مخيفة متواصلة ، وكنت أهب من رقادى مذعوراً والعرق يتصبب من جبيني ، ثم اشعر بالبرد والرجفة .. وأظل لحظات مورقاً ، ثم يغمى علي ، ثم أفيق .. وهكذا ..

هبوط االوحي

واعتذر للقارىء لاقتباسي لهذا التعبير ، فالوحي لا يهبط إلا على الإنبياء والمرسلين .. ولكنني لم اجد وصفاً أدق ولا تعبيراً أصدق لرسم صورة ما حدث لي في تلك الليلة وما يليها .. فقد تقرر في تلك الليلة مصيري ومستقبلي .. واعتزمت فيما بيني وبين نفسي ان اكون في يوم من الايام مثل هذا الرجل ..!

وقصت مرضعتي على أمي ما حدث لي .. وزادة الحالة سوءا بارتفـاع درجة حرارتي ، اذ اصبت بالحمى فحرمت مـن

مشاهدة التمثيل ، ولم أترك الفراش إلا وكانت فرقة القرداحي قد رحلت عن سوهاج .. وهزلت وانهارت صحتي وعافت نفسي الطعام .. وكنت إذا ما أختليت بنفسي أغلقت الباب ورحت اقلد عطيل في المرآة ..!

اندماج !..

وقد حدث لي ان اندمجت في المحاكاة فزأرت وجعرت .. ثم شددت شعر رأسي على طريقة القرداحي ، فآلمني ذلك ألماً شديداً .. وصرخت فأسرعت أمي والمرضعة اللتان هالهما سماع تجعيري وصراخي وبكائي وحطمتا الباب .. وما ان رأتني أمي في هذه الحالة حتى اخذت ترقيني بآيات القرآن وقد ظنت ولا شك أنني .. جننت وقصت على أبي ما جرى لي ، فغضب وأقسم ألا اشاهد التمثيل بعدها ..

وزارني الشيخ عثمان حافي الاقدام في غرفتي ، وراح يلاطفني ويحاول ان يسرى عني .. ثم رحنا نستذكر عطيل وتمثيل القرداحي .. وتدريجاً قام كل منا بتمثيل احد ادوار الرواية ، فقام شقيقي علي بدور ياجو ، وصممت انا ان أمثل عطيل .. فما كان من الشيخ عثمان إلا ان اضطلع بدور ديدمونة .. وراح كل منا يأتي بكلام من عنده ، حتى اندمجنا تماماً .. ولم

نلاحظ دخول ابي علينا .. وفوجىء الشيخ عثمان وأسقط في يده .. فأنهال والدي عليه ضربا بالعصى ، وجرى المسكين تلاحقه شتائم أبي وتهديداته .

يوسف الصديق

اما انا فقد صممت على تكوين فرقة تمثيلية من الصبية وزملائي في مدرسة سوهاج الاميرية ، ولم يكن هذا صعباً .. وفي خلال اسبوع انضم عشرة من الطلبة الى غرفتي ، وساعدنا الشيخ عثمان بان أحضر لنا مسرحية مطبوعة باسم يوسف الصديق ، ووزعنا الادوار واشترطت طبعاً ان أقوم بدور البطولة .

ولكن أين نمثل .. ؟ واين المناظر .. ؟ وكيف نعدها .. ؟ وأين نجرى التدريب .. ؟ وكيف نحصل على الملابس والذقون المستعارة .. ولو أنني لم انس ان القرداحي قال لي ان ذقنه من فروة الخروف .. ؟



الفصل الثالث

غابة الشياطين ... علمتني الشجاعة !

الفنان السوهاجي

جاءنا الشيخ عثمان « حافي الاقدام » مصطحباً شاباً اسمر طويل القامة حسن المظهر .. وقدمه لنا بوصفه فناناً هاوياً ، كان قبل ذلك يحترف التمثيل ثم هجره والتحق بوظيفة كتابية في الحكومة ، وانبأنا الشيخ عثمان بأن الفتى الفنان على استعداد لان يهيء لنا السبيل لاشباع هوايتنا التي استحوذت على مشاعرنا ، وأشعلت في نفسي ناراً متقدة لا ينطفىء لهيبها .

وقد فرحنا بمعرفة ذلك الفنان الهاوي فرحاً لا يوصف · وعرضت عليه ان يساعدنا في اخراج مسرحية يوسف الصديق » فوافق على الفور ..وزاد على ذلك ان فاجأنا بأنه يمتلك بعض الستائر المسرحية والملابس والذقون فانهمرت الدموع في عيني طرباً .. وتطوع الشيخ عثمان بأن يقوم بدور الملقن وان يساعدنا على حفظ الادوار ومخارج الالفاظ ..

وكانت المسرحية مكتوبة بطريقة السجع على عادة كتاب ذلك العصر .. ورغم جهلنا باللغة الفصحى لصغر سننـا ، فقد استوعبنا ادوارنا كالببغاوات ، وحفظناها عن ظهر القلب .. وان كان اخواني وزملائي الصبية قد اخذوا تمثيل ادوارهم مأخذ التسلية ، الا انني اخذتها مأخذ الجد .. كيف لا ، وقد كنت قررت مصيري ومستقبلي بيني وبين نفسي .. ؟

على المسرح لأول مرة

جاء اليوم العظيم .. وها هو المسرح الصغير قد شيد ببعض الدكك في صحن دار الموظف الفنان ، ودعونا كل من استطعنا دعوته من اولاد المدرسة .

وكان من نصيبي القيام بدور يوسف الصديق .. امـا دور زليخة ، فقد قام به صبي من عائلة « مازن » وهي عائلة عريقة في سوهاج ، وارتبطت بعائلتنا بأعز روابط الصداقة التي دامت حتى اليوم .. أما الفنان الموظف فقد لعب دور .. «فرعون» ..

ورفعت الستار ، وجاء دوري .. فاذا بعواطفي قد أخذت بخناقي ، واصابتني رجفة ورهبة .. ولكنني ما كدت اظهر على المسرح حتى ملكت زمام اعصابي ، ونظرت الى الشيخ عثمان الذى بدا في الكمبوشة بذقنه العجيبة ، فاذا به يلقنني الدور

٣

بشكل مضحك .. فانه لم ينتظر حتى ابدأ كلامي ، بـل قرأ ثلاثة سطور من الحوار قبل ان افوه بالكلمة الاولى.. فارتبكت ونسيت الحوار ، ولكن كبريائي دفعني الى اختراع كلام لا يمت للمسرحية بصلة .. فاذا بالشيخ عثمان يخرج برأسه من الكمبوشة ويصيح :

– لا .. لا .. دا مش مكتوب في الرواية !

ولم ينقذني الا الجب.. جب يوسف الصديق الذى رموني فيه. وما ان وجدت نفسي تحت المسرح حتى انخرطت في البكاء ..؟

وانتهى الفصل بالتصفيق والهتاف ، ونزل الموظف الفنان فاخرجني من تحت الدكك ولاطفني ثم انهـال علي الشيخ عثمان بالتقريع..

مفاجأة غير منتظرة

وفي الفصل الثاني بدأت امثل يوسف الصديق في شبابه.. وما ان بدأت زليخة في مراودتي حتى سمعت صيحة هائلة بين النظارة فقد جاء عم ممثل دور « زليخة ».. وكان قد بلغه خبر قيام ابن اخيه بدور امرأة .. فراح يسبه ، ويهدده بالويل والثبور .. فجرى الصبي مذعوراً وباظت الحفلة . ولم ينقذ الموقف سوى الموظف الفنان الذي راح ينشد قصائد وتواشيح ...

وانتشرت القصة في كل سوهاج ، وجاء الصبي – ممثل دور زليخة – الى المدرسة في اليوم الثاني منتفخ الوجه ، وقد حلق له عمه رأسه بالموس .. !

فراح الطلبة يشبعونه سخرية . . ولم يقف في صفه سواي ، فقد واسيته بقدر ما أستطيع ، إلا أنني أيقنت أننا لن نشبع هواياتنا بعد اليوم . .

وعدت الى البيت حزيناً مكتئبا ، واكتفيت بأن جعلت من سريري مسرحاً ومن ملاءته ستاراً . . ومن بين خشب (الكللة) جبا . .

غابة الشياطين

كانت والدتي تسافر الى القاهرة من حين لآخر ، لزيارة اشقائي الذين يدرسون في المدارس الثانوية والعليا . . ولما كان شقيقي « علي » معتل الصحة ، فقد كانت والدتي تصطحبه معها في سفرها بينما أبقى أنا وحدي بصحبة والدي .

بيد أن وظيفة أبي كمفتش للري كثيراً ما كانت تضطره لترك سوهاج ، وركوب الباخرة النيلية لزيارة البلاد الواقعة تحت رقابته .. فلا يظل بهذا البيت الكبير سواي مع خادم أمين متزوج من مرضعتي ومربيتي أم رقية . .

لكن هذا الخادم الامين كان من عشاق بنت الحان . . فإذا ما اشتد به الحنين الى الكاس كان يأخذني معه الى المدينة .. ولكي نصل الى الحانة التي يقصدها ، كان لزاماً علينا أن نمر في غابة نخيل يكتنفها ظلام دامس ، وقد شاعت عنها شائعات مخيفة تقول : انها مسكونة بالشياطين الذين يرجمون المارة بالحجارة ، ويظهرون في أشكال مختلفة لمن يجرؤ على اختراقها في الساعات المتأخرة من الليل .

وكان الخادم يجلسني بجواره في حانة لاحد اليونانيين حتى « يعمر طاسته » بالنبيذ ، ثم يعود الى بعد منتصف الليل . . ونضطر في العودة الى أن نخترق غابة الشياطين .. ولكي يشجعني الخادم . . كان يغدق علي ألقاب البطولة ، ويقص علي قصص الشجعان الذين تخافهم الابالسة .. فإذا ما وصلنا الى هذا المكان الموحش ، سمعته يحوقل ويستعيذ بالله ، ويتلو آية الكرسي ..!

ورغم الرعب الذي كان يأخذني بخناقي ، فقد كنت أتظاهر بالهدوء وعدم المبالاة .. الا ان الدم كان يصعد الى رأسي وترتعد أوصالي ، اذا ما مرقت بجوارنا قطة او سمعت عواء كلب ضال ..

مناعة ضد الخوف

لكنني مع التكرار الفت هذه الغابة المخيفة ، وطربت لصحبة

الخادم ، وارتحت لمجالسة المخمورين واستملحت نكاتهم ..

ولعل هذا الخادم السكير قدادى لي بغير قصد أجل خدمة.. فقد اقتلع حاسة الخوف من قلبي في فجر حياتي، وغرس فيّ عدم المبالاة بالاخطار ، وحب المغامرة والاستهتار بقصص العفاريت والشياطين .. وقد اكسبتني هذه الليالي الحالكة مناعة وجرأة، واصبحت اتباهى من هم اكبر مني سناً. وصرت لا اميل الى اللعب كعادة الاطفال .. هكذا عشت في طفولتي وصباي ورجولتي استهتر بالاخطار ، ولا اهاب الانس ولا الجن ولا وحش الفلا .. !

أبي والمفتش الانجليزي

ثم حدث حادث تاريخي ظلت مصر تتكلم عنه مدة طويلة.. فقد حضر مفتش عموم الري – وكان من ابناء التاميز – في جولة تفتيشية (لان الوظائف الحكومية الكبيرة في ذلك العهد لم يكن يشغلها عادة الا الانجليز) .. وكان المفتش شاباً لا يتجاوز الثلاثين . وعندما ذهب الى تفتيش الري ودخل مكتب أبي ، حيا ابي بأن مد له أطراف اصابعه .. فغضب ابي ولامه على ذلك ، ثم اشتدت المناقشة بينهما ، فما كان من ابي الا ان حطم احد كراسي المكتب على رأس المفتش الانجليزي وطرده شر

طردة ، فخرج ثائراً متوعدا وايقن الجميع ان مستقبل ابي الزاهر قد ضاع وانتهى .. لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ..

جاءت لجنة كلها من الانجليز ، وأجرت مع ابي تحقيقاً صارماً — وانتهت بادانة المفتش الانجليزي ، واعتباره البادىء بالاهانة . ولعل شعبية أبي ، ثم شهرته ونبوغه وخشية الانجليز من اثارة النعرة القومية .. كلها كانت من الدوافع الهامة في ادانة مفتش العموم الذي اجبر على تقديم الاعتذار كتابة .. ولم يمض اسبوع حتى نقل ابي من سوهاج الى طنطا مفتشاً عاماللدلتا وهو مركز أعلى من مركزه في سوهاج .

انتقلت الى القاهرة

ولما كان الانتقال مفاجئاً ، فقد نزلنا في بيت صغير بحارة المدارة بعابدين . كان ابي قد استأجره لاشقائي الاربعة محمد ومحمود واسماعيل وعباس .. فقد كان الاولان يتلقيان العلم في المدارس العليا ، والاخيران في المدارس الثانوية .. ولم يكن في القطر سوى مدارس كله ثانوية الا في القاهرة والاسكندرية ..

والتحقنا انا وشقيقي علي بمدرسة عابدين التي تقع بجوار سراي الخديو .

صبي يعشق السينما

وفي حارة المدارة التقيت بصبي من سني من اسرة تركية بحتة . ثم دعاني الى بيته المجاور لبيتنا ، وكان مبنيا على الطراز القديم .. بوابة ضخمة ، ثم صحن الدار الذي تطل عليه نوافذ الدور الاعلى..وكان للصبي غرفة في صحن الدار ما ان دخلتها، حتى وجدت جميع حوائطها مغطـاة بصور واعلانات كبيرة وصغيرة مختلفة الاشكال والالوان لممثلات وممثلي السينما .. امثال « فرنشسكا بي تيني » و جبرييل روبين » و « جينـا مانيز » و « ماكس لندر » ..

وعرفت منه أنه يهوى السينما الى حـد الجنون وقد شغفت بذلك الصبي صداقة واعجاباً ، فكنا لا نفترق .. واذا ما عدنا من المدرسة التقينا ، ولا حديث لنا الا التمثيل .. وكنا نذهب ثلاثتنا – انا وشقيقي علي وهو – مرتين في الاسبوع الى سينما ليديال (المجاورة لسينما رويال) او اولمبيا

هذا الصبي اصبح اليوم فناناً عظيماً ومخرجاً كبيراً ، اشتهر بفنه واخلاصه لفنه ، وكان اول مخرج للافلام الكبيرة الصامتة والناطقة .. انه محمد كريم ..

ملك دور السينما

وفي سينما ايديال عرفنا شاباً يونانياً يعمل في « الكونترول » وكان احياناً يستأجر حفلات نهارية من صاحب السينما الذي كان يدعى « بيروسيري » .. وكانت اسعار الدخول قرشا وقرشين. وكان الفتى طموحاً ذكياً ، يستأجر في حفلاتـه أفلاماً مثيرة جذابة .. وقد اصبح اليوم ملك السينما في القـاهرة .. يمتلك افخم دورها ، ورصيده في البنوك لا يقل عن مليون جنيه – انه سبيرورئيسي صاحب دور سينما «ديانا» و « ركس » و «رويال» و « ايديال » و « بارادي » .. وقد ظل وفياً لمصر يحبها ويخلص لها ، ويشيد بفضلها عليه وعلى اسرته واخوته .

ولم نبق في حارة الهدارة الا بضع شهور حتى انتقلنا منه الى المنيرة في منزل كبير ، ولهذا حولنا ابي من مدرسة عابـدين الى مدرسة الناصرية .. وحي المنيرة هو مهـد الذكريات والوقائع الطريفة ..

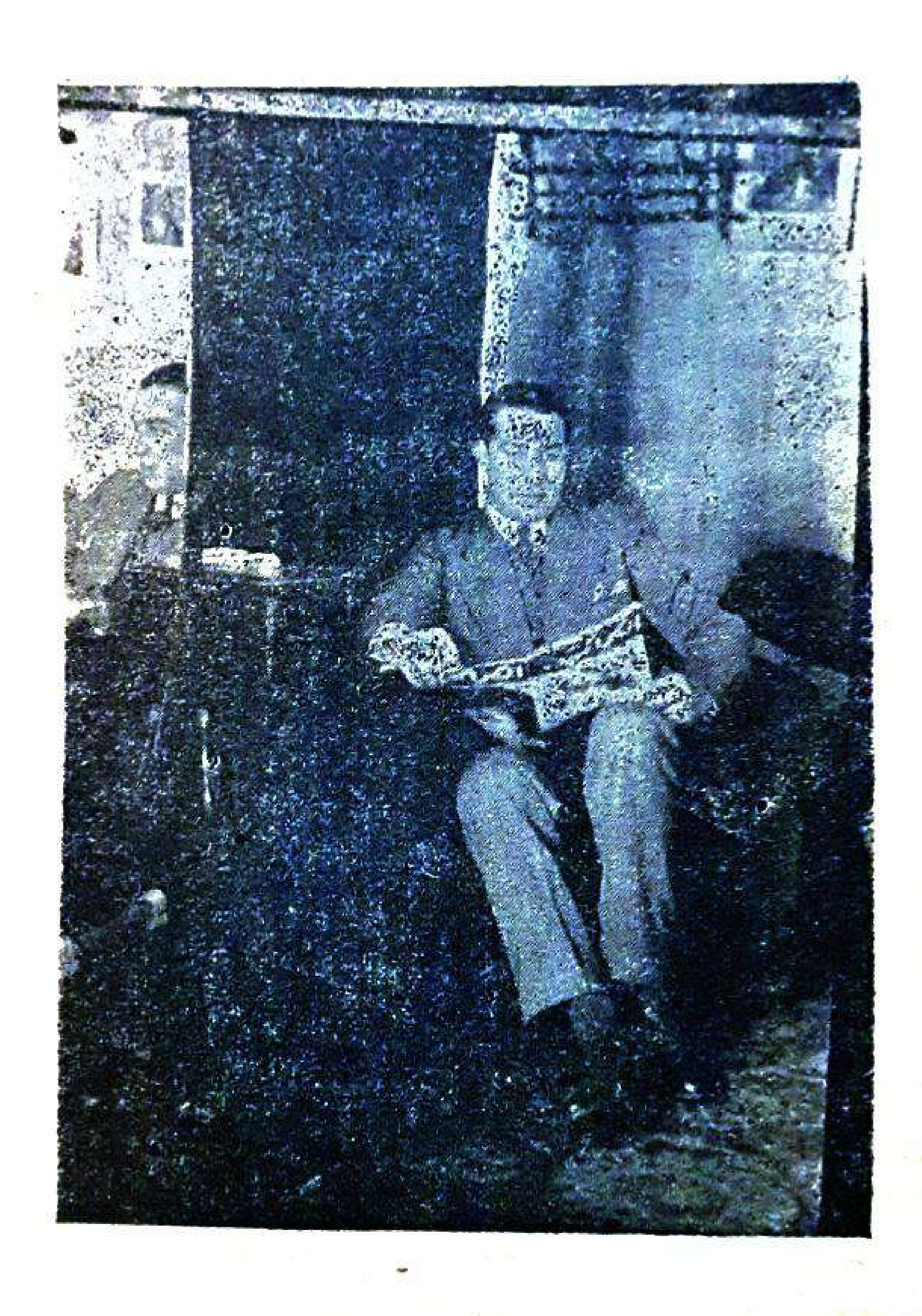
الشيخ سلامة حجازي

اصطحبنا ابي لحضور تمثيل « شهداء الغرام » في مسرح دار التمثيل العربي ، وكان مسرحاً كبيراً .. وكانت هذه اول مرة

اشاهد فيها هذا الممثل والمغني العظيم . ولأول مرة ارى التمثيل على حقيقته ، والفن على اصوله .. من روعة في المنظر والاضاءة واتقان التمثيل ، فجن جنوني وطار لبي وصرعني الاعجاب .

فكنت في صباح يوم الجمعـــة اصطحب « كريم » الى دار التمثيل العربي علنا نحظى بطلعة الشيخ او احد الممثلين.. وأسعدنا الحظ مرة بأن وجدنا بعضهم جلوساً على القهوة ، وكان فيهم الممثل الجبار المرحوم احمد فهيم والاستاذ العبقري، عزيز عيد .. ثم المرحوم نجيب الريحاني وحسن حسني .. ومنسي فهمي وعبد العزيز خليل ..

وحدث مرة ...



الفصل الرابع

سلامة حجازي انقذ طرابيشنا

حدث ان جلست انا وكريم وشقيقي علي بدكان حلواني يوناني يطل على دار التمثيل العربي وتقدم منا الجرسون يسألنا ماذا نطلب فاخترنا ان نأكل .. بسطة « جاتوه » وكان مع كل منا قرش صاغ مصروف اليوم .. وكان ثمن « الجاتوه » الواحد في ذاك العهد الرغيد .. خمسة مليمات ؟ وعاد الجرسون بطبق كبير رصت فيه دستة « جاتوه » فنظر كل منا الى الاخر في ذهول من روعة هذه الفطائر ، واختار كل منا اثنتين .. وفجأة رأينا الممثلين خارجين ، فناديت الجرصون وأسلمه كل منا قرشه .. فاذا بالجرسون يطلب منا ستة قروش صاغ – على حساب كل قطعة « جاتوه » عشرة مليمات لا خمسة ...

فأسقط في يدنا ، وبذلنا جهدنا لاقناعه بحسن نيتنا .. الا انه فاجأنا بأن اختطف طرابيشنا .. – كرهن – حتى نعود اليه بثلاث قروش اخرى .

وفي هذه اللحظة بالذات .. دخل دكان الحلواني رجل حسن الهيئة كث الشارب ... ولفت نظره صياح الزميل محمد كريم واحتجاجه ، فقد خشي ان يعود الى والدته بدون طربوش .. اما انا وشقيقي علي فقد الجم الخجل لساننا ، واذا بالرجل الحسن البزة يتقدم نحونا ويسأل الجرسون عن سبب النقاش .. وما ان عرف منه ما حدث حتى تطوع بدفع الثلاث قروش ، وامر الجرسون برد طرابيشنا الينا . فأطاع صاغر وحياه احسن تحية .

ثم تقدم الرجل نحونا ولاطفنا برقة ، وانتحى ناحية من من المقهى ، واذا بالممثلين يدخلون ويحيطون به ويجلسون على مائدته فسارعنا بالخروج وخلفنا الجرسون يصيح فينا : « بختكم كويس .. الشيخ سلامة راجل كريم ..

نعم كان المنقذ هو سلامة حجازى العظيم .. وفجأة تذكرت هذا الوجه الرقيق الذي شاهدته لأول مرة على المسرح ..

بيد أن هذا الحادث أخجلنا الى حد أننا امتنعنا عن التسكع أمام بوفيه دار التمثيل العربي .

مدرسة أولاد الذوات

كانت مدرسة الناصرية الابتدائية مدرسة أولاد الذوات ، ولا تقبل ادارتها الا تلاميذ من طبقة الارستقراطية .. وكان

مديرها مربياً عظيما وذو شخصية محترمة هو أمين باشا سامي ..
وكان محبوبا من الطلبــــة رقيقاً ، يهتم بالتعرف على كل طالب
واشماره بالحنو الابوي.. كما كان أساتذة المدرسة على خلق كريم ..

وبالرغم مما استشمرته من جو ارستقراطي ونعومة وطراوة
بعض الزملاء ، وما لاحظته من مظاهر الرفاهية المبالغ فيها ..
فقد كان بعض الآباء يبالغون في زينة أبنائهم ، فيبدوا بعضهم
وكأنهم من الجنس اللطيف سواء في الملبس أو في طريقة الكلام..
بالرغم من ذلك الا انني ما سمعت لفظاً بذيئاً ولا كلمة نابية ..

لكنني اذكر حادثا حدث لي ..

فقد كان البرنامج الرياضي في المدرسة يحتم تكوين فرقة لكرة
القدم من كل فصل ، وكان المكلف باختيار من يجيدون اللعبة هو
« كابتن » المدرسة ..

وللأسف كان هذا « الكابتن » من ذوي الشذوذ .. وحدث
أثناء اختباره قدرة اللاعبين ... أن صدرت منه حركة فهمت
مقصده . فصعد الدم الى رأسي .. وبكل ما فيّ من قوة ضربته
بقدمـــي (فـــاول ..) .. فاذا به يصفعني صفعة شديـــدة
أسقطني أرضا ..

لكنني خجلت أن أقص على أحد ما حدث ، واعتزمت في

نفسي أن أدرب عضلاتي .. وكان أشقائي يملكون جهاز (ساندو) الخاص بتقوية العضلات .. فصرت أتدرب عليه كل يوم ، كما أنني كونت من « عيال المنيرة » فرقة لكرة القدم ، واخترنا الحارة التي تقع خلف المنزل للمران . وكثيراً ما أوقعت الكرة كلوبات الكهرباء التي كان أصحاب البيوت يضعونها على بوابات قصورهم ومنازلهم .. !

قبضة فانتوماس

ولما قصصت ما حدث على الصديق محمد كريم ، دلني على سلاح عجيب شاهده في أحد أفلام فانتوماس (اللص الرهيب) في السينما – وهي قبضة حديدية يلبسها الضارب في يده ليحطم بها وجه الغريم .. ! فذهبنا الى حداد في حارة الهدارة بعابدين ، فصنع لنا ما طلبنا .

وجاء اليوم الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر .. اذ تقدمت أمام جمع من الطلبة الذين وقفوا أمام هذا « الكابتن » خاشعين ينشدون رضاه ، وبصقت في وجهه ونعته نعتا غير كريم .. فانقض بوحشية ، الا أنني عاجلته بلطمة من اليد الحديدية أصابت أسنانه وحطمت منها اثنين .. فسقط يعوي كالذئب ، والدم يسيل من فمه بغزارة ، ولبثت واقفاً أمامه وقد تملكني

الزهو ، والطلبة من حولي مشدوهين ..

جاك دمبسي مصر .. !

وأسرع ضابط المدرسة المربي الكبير الاستاذ عبدالله سلامة - أطال الله عمره - لفض المعركة ، فوجد « الكابتن » في حالة اغماء .. ولما بدأوا التحقيق معي طلبت مقابلة المدير ، وقصصت عليه ماحدث .. فتألم ألماً شديداً ، وهدده بالفصل .. فبكى « الكابتن » ، وشهد الكثيرون من الطلبة ضده ، واعترفوا اعترافات خطيرة .. فاتصلت ادارة المدرسة بأسرته ، ثم نقلوه الى مدرسة اخرى .. وهكذا اشتهرت في المدرسة شهرة بطل الملاكمة الامريكي « جاك دمبسي » . .

جنون السينما

جاءني الاخ كريم بنبأ عظيم .. فقد شاهد في محل (عمر أفندي) .. أوروزدي باك .. آلة عرض سينمائية للهواة ، ثم اصطحبني يوم الجمعة لمشاهدتها فسخرت بها .. ولأول مرة في حياتي أرى الشريط السينمائي المقسم الى مربعات في كل مربع صورة .. وها هو ذا البائع يستعرض أمامنا طريقة عرض الصور المتحركة على الشاشة البيضاء .. فكدت أصاب بالجنون ، وتملكتني

أنا وشقيقي علي رغبة جارفة لشراء هذه الآلة الرائعة .. ولما سألنا عن ثمنها قال البائع : « ستة جنيهات .. ! »

وجدتها .. !

لا بد اذن من الحصول على هذه الجنيهات الستة .. ماالعمل ..؟ جلسنا ثلاثتنا وقد خيم علينا الصمت ، نعالج هذه المشكلة الخطيرة .. فهي مسألة حياة أو موت .. فسوف نموت ولاشك — حسرة — اذا لم نقتني آلة السينما .. وفجأة صحت كما صاح أرشميدس .. « وجدتها .. ! »

كان والدي قد استحضر في احدى زياراته لاوروبا ساعة اوتوماتيكية من النمسا .. اذ ما ضبطت على موعد معين وتحرك عقربها ، انفلت منها محرك فاشعل (وابور السبيرتو) ملحق بها .. وفوق وابور السبرتو بكرج شاي .. وهكذا اذا ما دق جرس الساعة ، استفاق صاحبها ، وبعد خمس دقائق يجد الشاي معدا .. ! وكانت والدتي قد أهدتني هذه الساعة كي أستعملها كمنبه ، لأنها كانت تعرف فرط حبي لمثل هذه اللعب ...

يانصيب .. !

اتفقنا نحن الفرسان الثلاثة على بيع هذه الآلة والانتفاع من ثمنها ... ولكن الى من نبيعها .. ؟

كان سكرتير أبي الجديد شابا أرمنيا اسمه « صوفيان أفندي » ، وكان لطيفاً ومحباً في الوقت نفسه للسينما .. فاستشرناه في الأمر ، واذا به يقترح علينا أن نجري عليها يانصيباً ، وتكفل هو ببيع تذاكر اليانصيب على موظفي ومهندسي تفتيش الري .. ففرحنا فرحا شديداً ، وتولى هو طبع التذاكر في مطبعة يملكها أحد أقربائه .. وفي اليوم التالي سافر بها الى طنطا مقر تفتيش الري.

وما أن مضى أسبوع حتى عاد « صوفيان أفندي » متهللا ، وفي يده عشرة جنيهات ثمناً للتذاكر التي باعها .. وفي الحال أجرينا السحب وقدمنا له الآلة ليعطيها لصاحب النمرة الرابحة .. ثم سارعت الى كريم .. وما أن رأى في يدي المبلغ حتى قفز في الهواء ، وأتى بحركات بهلوانية عجيبة .. ثم دخلنا محل عمر أفندي دخول الغزاة الفاتحين ، وعدنا الى منزل المنيرة ومعنا آلة العرض وكأننا قد ملكنا الارض وما عليها .

سينما منزلية

ثم قررنا اقامة حفلة كبرى لكل اولاد المنيرة .. وما أن حل يوم الجمعة حتى كنا قد اعددنا صالة كبيرة في البيت كانت تستعمل مخزنا للاثاث الفائض ..

وجاء المدعوون ذرافات واستأجرنا فيلماً لجوني سنكلر ..

البوليس السري العجيب .. ولما كان صاحب سينا الكوزمجراف الامريكاني (الكوزمو حالياً) قد ابتدع بدعة جديدة ، وهي ابراز المؤثرات الصوتية ، كالطلقات وتحطيم الاطباق وتكسير الابواب ، وذلك بأن يقف أحد العمال خلف الشاشة ومعه المؤثرات اللازمة .. فاذا ما ألقى أحد الممثلين طبقاً ، ألقى هو طبقاً على الارض أو أطلق مسدساً، أطلق من مسدس الاطفال .. فقد تطوع الأخ كريم بأن يقوم هو بالمؤثرات الصوتية .

وفي الساعة الخامسة تماماً كان في صالة السينما المنزلية أكثر من خمسين صبيا من حي المنيرة .

وبدأ العرض .. إلا أن شيئاً واحد لم نحسب له حسابا ، فقد كنا نعرف أن أبي سيسافر مباشرة من مقر عمله بطنطا الى عزبتنا في السنبلاوين ليستفيد من اجازة يوم الجمعة ليفتش على الزراعة .. ولكنه عاد فجأة ..

هجوم وحصار .. !

وبينما نحن في غمرة المتعة ، وبينما كان الصبية يصفقون ويصفرون لبراعة « جون سنكلر » في القبض على المجرمين .. وصل أبي الى السلاملك ومعه عمي وكان رئيساً للمحكمة الشرعية ، وحشمت (باشا) وكان وزيراً للمعارف ، وابراهيم (باشا) سعيد من

كبار وجهاء مصر ..

جلس أبي مع أصدقائه يحتسون القهوة في السلاملك ، واذا بضجة النظارة والتصفيق والصفير يدوي في آذانهم .. فسأل حشمت (باشا) أبي : « ما هذا .. هل عندكم تياترو ؟ .. »

فأجاب أبي : « تياترو يا باشا » .. فأجابه : « ألا تسمع هذا الضجيج ؟ » فقام أبي وتبعه ضيوفه مهتدين على مصدر الصوت ، وفجأة أضيء النور .. ! وصاح أبي أيه يا واد انت وهو دا ! . »

واذا بالصبية يهبون فزعين ، ويسارعون الى الابواب طالبين النجاة ... واشتد الغضب بأبي فصرخ : « اضرب يا حشمت باشا .. امسك يا ابراهيم باشا .. ! »

أما الأخ كريم المختبيء وراء الشاشة ليقوم بالمؤثرات الصوتية ، وقد وجد نفسه محاصراً .. ومن فزعه أوقع المائدة التي أعد عليها الاطباق والمفرقعات ، فأحدثت دوياً هائلا ..

وهنا تقدم الثلاث (باشوات) ورئيس المحكمة الشرعية نحو كريم المحاصر المسكين ..



الفصل الخامس

تنكرت في زي شيخ هندي

كان موقف الاخ محمد كريم عصيباً — فقد ولى شقيقي علي الادبار واحتضنت أنا — ماكينة السينما وهربت بهـا الى الدور الاعلى خشية الأعتداء على أعز مـا أمتلك .. ورفع والدي الستار وأخرج كريما من مكمنه ممسكا باذنه. وفوجيء المسكين بوجود حشمت باشا وابراهيم باشا سعيد .. وطلعت عليه عمامة عمي رئيس المحكمة الشرعية العليا .. وكان كل فرد من هؤلاء كاف لارعاب بلد .. ولكن كريم الفنان الذي لم يفته فيلم سينمائي .. لم يعدم الحيلة .. فقد تظاهر بالاغماء وسقط على الارض مغشياً عليه .. فأسقط في يد والدي ، وأسرع الباشوات فحملوه الى الصـالون — بينما أخذ عمي يتلو عليه مـا تيسر من سورة يس . ثم مددوه على احد الارائك .. وأسرع أبي يطلب ماء ، واسرع غيره ليفتح نافذة .

وانتهز كريم الفرصة فقفز قفزة أوصلته الى باب النجاة ، ثم

سابق الريح ... اما شقيقي فقد استنجد بوالدتي التي كانت دائما تحوطه بعطف خاص لاعتلال صحته ، فعرفت كيف تهدىء من ثائرة أبي ...

تهديد .. !

ولكن الحادث لم يمر هكذا بلا ضحايا .. فقد غضب ابي على احد الخدم لانه سمح لنا باقامة الحفل السينمائي ، وكان هذا الخادم على شيء من الغلاسة والقحة ، فلم يرتح ابي لرده وطرده شر طردة .. ولما جاء في اليوم التالي ليسلم عهدته ويتسلم باقي اجره ، التقى بي مصادفة مع شقيقي ونحن خارجين قاصدين المدرسة .. فاعتدى علينا باللفظ ، واقسم ليحطمن تلك الآلة التي كانت السبب في قطع رزقه (وهو يقصد ماكينة السينما) .

وظل تهديده يدوي في اذني طوال النهار ، وصور لي الوهم انه قد ينتهز فرصة غياب ابي فيعتدي على حياتنا ايضاً ..

فكيف السبيل الى احباط خطته الاجرامية ؟ .. لا بد ان اصنع شيئاً انا من درس حيل المجرمين في افلام السينما .

حيلة شرلوك هولمز .. !

وفي عودتي من مدرسة الناصرية ، صادفت بائع قصص

وروايات فعرض علي شراء لشرلوك هولمز نابغة البوليس السري ومدوخ كبار اللصوص وما ان رجعت الى البيت حتى بدأت في تلاوتها فسيلت لبي .. واخذت بروعة حوادثها وقوة مفاجآتها. ووجدت فيها الحيلة لتحاشي تهديد الخادم وشره ... واقتبست ما قرأته ، فاحضرت قطعة دوبارد وربطها في اكرة الباب ثم ارتفعت بها على موازات الحائط حيث مررتها (برزة الشنكل) وفوق الشنكل وضعت مسدساً (لعبة) إذا ما اطلق يحدث صوتاً داويا ، وشبكت الدوبارة في زناده المفتوح وهكذا إذا حدثت الخادم نفسه ان يعتدي علينا ، وكان معه مفتاح الباب الخارجي وهو المنفذ الوحيد لدخول البيت ... فعند فتح درفة الباب ، يسحب الدوبارة فينطلق المسدس ويحدث قرقعة ليفيق عليها كل من في البيت .

شبح مخيف .. !

فعلت هذا ليلاً قبل ان انام .. ولكي ازيد الخادم رعباً ، أتيت برأس ضخمة من الكرتون تمثل ساحراً هنديا بعمامة رهيبة ، واتيت بوسادة كبيرة فالبستها جلباباً أسود ، ووضعت الراس فوقها .. فبدا شبحاً مخيفاً . وهكذا يفاجأ الطارق الليلي بطلق ناري فاذا نظر امامه واجهه حارس هندي مرعب ..

أعددت كل هذا قبل ان انام .. وانا اجهل ما خبأه القدر ..
فإن الخـادم لم يحضر والذي حضر هو والدي .. عاد في الحادية عشر مساء من السفر ... وما ان فتح الباب حتى دوى الطلق ، وفوجىء ابي بالهندي العجيب ، فصاح طالباً النجدة .. واسرع الخدم واكتشفوا السر ..
حدث كل هذا وانا في سبات عميق ... لكنني افقت على صفعة ، فهببت صارخاً ... وكان الصافع هو المرحوم الوالد ...

العب دور ...!

الا ان هذا الحادث كان موضع تندر ابي .. فقد قصه على كل اصدقائه ، وكان اذا رآني انفجر ضاحكا حتى انقلبت الآية . واصبحت في نظرهم ظريفاً .. ! وناداني ذات يوم حشمة (باشا) ولاطفني ، ثم طلب مني ان العب دورا على احد افراد الشلة ، وهو الشاعر العظيم حافظ ابراهيم .. ووعدني بهدية ثمينة ...
فتنكرت في زي شحاذ ، وانتظرت نابغة الادب في اول الشارع وجعلت اتوسل اليه حتى اعطاني قرشاً كاحسان .. وكم ضحك ابي واصدقائه من هذا ، ولما اكتشف حافظ ابراهيم اللعبة نظر الى ابي وقال ابنك ينفع يفتح تياتروا .
وانتشرت القصة بين النظار (الوزراء) ، فناداني اسماعيل

باشا . (والد الرئيس حسين سري) وطلب مني ان اتنكر في زي الشيخ الهندي ، وقدمني للعلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة كاحد علماء الهند .. فرحب بي كل الترحيب ، وعندما حدثني العربية اجبته بالهندية (من اختراعي طبعاً) فعلت الضحكات .. وزهوت بنجاحي زهوا عظيما ..!

فرقة مدرسية

ودوت شهرتي في حي المنيرة وفي مدرسة الناصرية وفي صبيحة احد الأيام ناداني ناظر المدرسة امين باشا سامي ، وقدمني لاستاذ جديد عاد حديثاً من انجلترا .. وكان هذا الاستاذ المرحوم محمود مراد الذي درس فن الالقاء في انجلترا وفرح بي فرحاً عظيما، واقترح على الناظر تكوين فرقة تمثيلية لتقديم مسرحيات صغيرة باللغة الانجليزية .. وكان من افراد هذه الفرقة زميل الصبى الدكتور حسين عرفان ، والإستاذ سعيد ذو الفقار النائب العام السابق للمحكمة المختلطة ، والدكتور احمد سرى .. والوجيه احمد فتحي وكثيرون ممن وصلوا الى اسمى مناصب الدولة ...

امرأة ...

... ترددت كثيراً في تسجيل هذه الواقعة الخطيرة ..

ولكنني قد آليت على نفسي ان اكون صادقاً ، وان اجعل من مذكراتي دراسة وفائدة .. فقد وجدت في نفسي الشجاعة ان اذكرها بحذافيرها ..

جاءت لوالدتي صديقة ارستقراطية من سلالة اسرة كبيرة ، وكانت تسكن المنيا .. وقد عرفت فيما انها طلقت حديثاً لاختلاف المشارب ، ولأنهم زوجوها صغيرة من شيخ في سن ابيها لغناه فلم تطق الاقامة معه وجاءت الى مصر بعد ان استطاعت الطلاق منه .

ولما كان اهلها قد نزحوا الى الاستانة ، ولما كانت اسرتها ترتبط باسرتنا بأواصر الصداقة .. فقد نزلت على والدتي ضيفة ... كانت سيدة في عنفوان الصبا رائعة الجمال طويلة القامة شقراء زرقاء العينين ، شعرها المتوهج يصل الى ما بعد ركبتيها ..

احتفت والدتي بالصديقة وأكرمت وفادتها ، وخصصت لها غرفة فأقامت بيننا معززة مكرمة ..

وكان عمري ثلاثة عشر سنة ، لو انني كنت ابدو في السادسة عشر وقد نمت عضلاتي واشتد عودي.

وزالت الكلفة فكانت تلاطفني كثيراً وتكثر من اهدائي

بالحلوى والشكولاته ... وكانت مغرمة بالخروج .. ولما عرفت
حبي انا واخي للسينما فقد كانت تستأذن والدتي في اصطحابي انا
وشقيقي الى سينما سانتي وكان مكانها في حديقة الازبكية ،
او سينما الكوزموجراف وكانت تقع بجوارمسرح رايتس وقد
لاحظت شدة عنايتها بي واهتمامها بهندامي .

وذات يوم اصطحبتني الى محل تيرج (محل كبير للملابس)
فاشترت لي بدلة بنطلون طويل .. ولما عرفت والدتي عاتبتها
عتابا شديداً ، فعللت ما فعلت برد جزء من المعروف .

ثم مرضت بالانفلونزا ، فضاعفت عنايتهاولم تترك فراشي
لحظة واحدة بل أمرت الخدم فأعدوا لها فراشاً في غرفتي كي
تلازمني ليلا ... وكانت إذا ما قبلتني في جبيني شعرت بلهيب
أنفاسها .. وقد شكوت لها مرة من التهاب حلقي فقبلتني في
فمي قائلة: وددت لو انتقل المرض منك الي ..

شعور غامض

شيء غامض كان يسيطر على كل هذا ... شيء لم ادرك علته
ان تلك القبولات لم أحس بها كقبولات سيدة في سن امي ...
وخصوصاً لانها كانت تكثر من ضمي الى صدرها وفي كل مرة
كنت أشعر بأنها تحاول ان تضع رأسي في صدرها .

ولما كانت في معظم الأحيان ترتدي قميص النوم ، فقد كان صدرها شبه عار .. في مبدأ الأمر كنت استشعر بضيق وخجل » ولكني على التكرار وجدت في هذا الضم متعة ...

وبدأت تسيطر علي احاسيس جديدة وتفتح امامي دنيا جديدة ... دنيا كنت اجهلها تماماً .. كنت لا استريح الا إذا ما ودعتني صباحاً وإستقبلتني مساء .. وجالستني خلال استذكاري لدروسي .. أي دروس .. اذا ما قرأت كتابا أحاطتني بذراعيها وقرأت معي .. واذا ما اردت خلع ملابسي تطوعت بمساعدتي ، وكنت الاحظ انها تضمني بدقة ... اما في السينما فقد كانت لاتترك يدي ، ومن آونة لأخرى كانت تضغط عليها برفق فأنتشي ..

فرصة منتظرة

وهيأت الظروف لهذه السيدة فرصة تنفيذ خطتها ... فقد اراد أبي اصطحاب والدتي بضعة ايام الى العزبة ، فلما عرفت السيدة طمأنت والدتي بأنها ستحل محلها في العناية بي ، وصارت تقسم انها لو كان لها ولد ما أحبته كما أحبتني .. فاطمأن قلب الأم ، وشكرتها من اعماق قلبها ...

أما علي العليل المريض فلم تطق والدتي ان تتركه ، فسافر

والدي ووالدتي ومعهم شقيقي علي ... أما مربيتي فمن سوء الحظ كانت تزور اسرتها بسوهاج، فخلا الجو لأحقر عاطفة من امرأة لصبي في سن اولادها ..

جاء الليل فألبستني احسن ثيابي وأستأجرت عربة فذهبت بي لمسرح دار التمثيل العربي ... وفي احد المقاصير الحريمي المغطاة بالستار جلسنا كلانا نشاهد مسرحية شهداء الغرام ... وظلت طوال الوقت تضمني بين ذراعيها ، فإذا ما اشتد بها التأثير في مشاهد العشق لفظت الزفرات وسالت دموعها ثم أمطرتني بالقبولات ...

وعدنا في الواحدة صباحاً الى البيت وساعدتني على خلع ملابسي ... وبدأت في خلع ملابسها امامي .. فأشتدت ضربات قلبي وتصبب العرق من جبيني وبدأت تسرح شعرها ثم قامت فقربت وجهها من وجهي وقالت – انظر – ان شعرك لون شعري – وعيناك لون عيني – وبدأت تقص علي قصة تعاستها مع زوجها السابق وما عانته من شقاء ..

وفجأة امسكت بي والدموع تترقرق في عينيها وقالت : اتعرف يا يوسف لماذا احبك ... لأنك تشبه ابن عمي .. كنا متحابين .. وقد رفضت اسرتي زواجه مني لانه فقير – انك

صورة طبق الاصل منه عيناك وفمك وشعرك ... المسكين لقد انتحر ... حرق نفسه بالنار ..

فصحت : حرق نفسه فجعلت تصف لي كيف صب البترول على ثيـابه ، وكيف اشعل في ثيابه النار – وكيف سمعت صراخه لانه كان يسكن مع اسرتها ، ضارعة لتجده ... وكان الوصف مخيفاً فأرتجفت ، وكأنها احست بالرعدة تسري في اوصالي – فقالت لا تخف يا حبيبي ... تعال الى صدري ..

كانت شبه ...



الفصل السادس

بين حواء رقم « ١ » .. وحواء رقم « ٢ » ..!

أصبحت كالمذهول .. أذهب واعـود من المدرسة ولا اعي درساً ولا ارى الا مفاتن جسدها ماثلة امامي في كل لحظـة ، وذراعيها البضتين كالاخطبوط تلتفان على عنقي فتعصرانه عصراً.

الملاك المنقذ

وأشفقت السماء على غصني الرطب ، فبعثت الي فجأة بملاك منقذ هي مربيتي أم رقية التي عادت فجأة من الصعيد. وشعرت الحية الرقطاء بأن عليها رقباء .. فلبست ثوب الدعة ، ومثلت دور الام الحنون .

حتى اذا ما حان الليل . تسللت الى فراشي .. وذات ليلة سطع النور في غرفتي ، وفاجأتها مربيتي شبه عارية .. فكان مشهداً لن أنساه طول الحياة.. انقضت مرضعتي على الافعى وقد جن جنونها غضباً ، وامسكتها من جذور شعرها وأسقطتهـا

أرضاً .. وجعلت تتلوى تحت ضربات أم رقية لا تبدي مقاومة.

ثم افاقت من هول الصدمة ، فانفجرت باكية تتوسل وتتضرع ، وتستحلف الملاك ان يرحمها وان يستر عارها .. فصرخت مربيتي في وجهها « اذن – اخرجي حالا من هذا البيت الذي اكرم ضيافتك فأردت ان تفجعي اما في ابنها ، وخنت الامانة ولم يردعك سن وضمير .. »

وقامت حواء النجسة فجمعت حوائجها ، بينما انكمشت أنا في فراشي الهث من الخجل وسبحت في بركة من العرق ثم سمعت دوي اغلاق باب البيت الكبير ، وايقنت ان مربيتي سوف تعاقبني بما استحق .. الا انها عادت فأطفأت النور ، ولم تنبث ببنت شفة .. وتركتني في الظلام اضرب اخماساً في أسداس – واتخيل ما سيحدث عندما تقص على أمي ما رأت .

خاطر فظيع

وأرقت حتى الصباح– وانتهزت فرصة قيام ام رقية كي تعد لي طعام الافطار ، فارتديت ملابسي في ثوان وسارعت جرياً بالخروج ، وتسللت من باب السلم الكبير الى الشارع .. وكان اول خاطر خطر لي هو الهرب من بيت الاسرة .. وظل هذا الخاطر الفظيع يراودني طوال ساعات الدراسة بالمدرسة ، وصممت ان

الجأ الى منزل الصديق محمد كريم في نهاية اليوم .

– لكن عند انصرافي ، فوجئت بمربيتي في انتظاري على باب المدرسة .. مع ان منزلنا لا يبعد عن مدرسة الناصرية بأكثر من مائتي متر ..فأيقنت انها قد هدتها غريزة الامومة الى انقاذي من حالتي النفسية ، وما قد يدفعني اليه طيش الصبا . فتبعتها صامتاً ..وما ان وصلنا البيت حتى ضمتني بين ذراعيها الحنونتين ، وقالت لي باكية :« لا تخف ..لن أقول شيئاً يا ولدي الحبيب.. والغلطة غلطتي وغلطة امك .. لاننا تركناك وحيداً بين براثن هذه – اللبوءة .. »

ذكريات

وهكذا أسدل الستار على اول تجربة لي في دنيا الاغراء .. بيد انني اعترف ان سلطان تلك « الغولة » كان متغلغلا في قلبي ، فعانيت عذاباً أليماً – وكانت قد تركت في ادراج خزانة ثيابي الكثير من الذكريات ..من كرافاتات ومناديل حريرية ومحفظة جلدية فاخرة و (ما شاء الله) من الذهب ، ثم صورة فوتوغرافية تجمعنا نحن الاثنين .. فلما اشتد بي الحنين ، انتهزت فرصة خلوة فاردت ان القي نظرة عليها–ولكنني وجدت الدرج فارغاً –.. فاستنتجت بالطبع – من اخذها ..

فليحذر الآباء

ولقد اردت بذكر هذه القصة من مذكراتي ان اكشف للآباء والامهات عن مكامن الخطر اذا مـا وضعوا ثقتهم في بعض من يتظاهرون بالاخلاص ويلبسون قناع الوفـاء .. وهم أشر من الذئاب نهما ، اذا ما انفردوا بشاة أغفلت حراستها عيني حارس القطيع، وان المرأة اذا ركب جسدها شيطان الشهوة لا تعصمها عن الرذيلة فوارق السن ولا قدسية الامومة ، ولا خشية من دين او مراعاة لشرع .. وان المرأة كالرجـل سواء بسواء ، اذا سيطرة الغريزة البهيمية على النفس .. فاذا ما استبشعنا اعتداء رجل مسن على طفلة ، فان الابشع هو انحدار المرأة الى احط درك اذا ما جاعت انوثتها .. اذ ذاك تنقلب الى لبوة لاضمير لها.

مفاجأة سارة

كنت بعد ما حدث لصديقي كريم مع ابي والباشوات متردداً في زيارته . الا انني وقد برح بي الاسى شعرت بسيس الحاجة الى صديق ، فسارعت الى حارة الهدارة للقياه والاعتذار اليه .وما ان رآني حتى هاله شحوبي ونحولي ، وصاح في ملتاعـا : « أكنت مريضاً ؟ »

فقصصت عليه مغامرتي وما اعانيه من الحرمان ، فضحك

وأمسك بذراعي وقال : « تعال معي » .. قلت الى اين ؟اجاب « مفاجأة ستسرك » .

وسرنا معاً حتى حي الدرب الاحمر ، وصعدنا الى منزل من منازل الحي الصغير ..ووصلنا الى الشقة على بابها لوحة مكتوب عليها « جمعية التمثيل الراقي ». وهناك وجدت جمعاً من الشباب ، وقدمني الى شاب في سن العشرين وقال : « هذا رئيس الجمعية .. الاستاذ حسن شريف » .

فرحب بي احسن ترحيب .. ووجدتهم يتدربون على مسرحية ، ومعهم فتاة شامية عرفت فيما بعد انها بطلة الرواية ، واسمها « فيوليت » وفهمت من حديث رئيس الجمعية ان الاخ كريم قد حدثه كثيراً عني وعن مقدرتي التمثيلية .. ثم قدم لي نوتة وقال : « لقد احتفظت لك بدور كبير في الرواية » .

الشرف المغتصب

كان دور مربي الاسرة .عجوز في سن السبعين.. وفي الحال اندمجت في هذا الجو الحبيب الى نفسي ، وتوالت اجتماعات التدريب فبدأت انسى هذا الحادث المخزي ، وتراجع الكابوس الرابض على صدري ، ولم اعد افكر الا في اليوم الذي حددوه لتقديم المسرحية التي اسموها « الشرف المغتصب » على مسرح

ندوة لكبار الفنانين

ومما ساعد على شفائي .. عودة الاسرة ، ثم انتقال شقيقي محمود وهبي القاضي – رحمة الله عليه – الذي كان يعمل في سلك القضاء بالارياف ، ثم نقلوه الى القاهرة .

وكان اخي محمود موسيقياً من الطراز الاول واعظم عازف على « البيانو » عرفته مصر .. وكان فوق كل هذا رقيقاً الى اقصى حد ..

وأصبح منزلنا ندوة لكبار الفنانين والأدباء من أصدقائه ، وفي كل ليلة يضم منزلنا عازف القانون الشهير المرحوم محمدالعقاد ، وأمير الكمنجة سامي الشوا ، والعواد الشهير المرحوم القضابي ، ثم المرحوم محمد تيمور العظيم ، والشيخ عبد العزيز البشري ، ومحمد فهمي ناظر مدارس النيل رحمهم الله جميعاً ..

وكان أخي محمود يحيي بمنزلنا سهرات رائعة حيث يتبارون في العزف ويتحاورون بالشعر والزجل .. فأخذت في غمرة هذا الجو الفني البديع ، وبدأت أتعلم من أخي العزف على البيانو ، وأصبحت حياتي نعيما مقيما ،. وكان محمود وهبي هو صاحب الفضل في تشجيع هوايتي وانماء مواهبي ..

مقلب نظيف

ثم وافت الساعة السعيدة ، وذهبت الى مسرح دار التمثيل العربي لامثل لاول مرة على مسرح حقيقي .. وارتفعت الستار فلم اشعر برهبـة ولا خوف ، ومثلت دور العجوز على مسرح اكتظت صالته بالنظارة . فقد كانت الغلة للجمعية الخيرية الاسلامية .. واذا بالقدر يخبىء له مقلباً نظيفاً ..

كان أبي وكيلا للجمعية الخيرية الاسلامية ، فناب عن رئيسها في حضور الحفلة واحتل المقصورة الاولى ..

وانتهت الرواية وأنا في غمرة النصر الفني .. فقد نجحت في دوري نجاحاً كبيراً ، ووقفت مع زملائي الهواة فخوراً انتظر التهاني .. فاذا بي أفاجأ بوالدي على رأس الوفد ..

وكانت لحظة .. واذا بأبي يصافحني ويقول لي : « أحسنت يا يوسف » .. وبعد أن حيا الجميع ، نظر إلي وقال « أزل عن وجهك هذه الاصباغ ، فأنا بانتظارك في العربة كي نعود الى البيت .. »

ودخلت الى غرفة المسرح الصغـيرة وأنا أرتجف وخلعت أدوات التنكر وأنا لا أدري .. أأهرب أم أذهب الى أين ؟ ولكنني وجدت سائق العربة في انتظاري ..

تعال يا سوسو !

وطأطأت رأسي وتبعته كما يتبع الاسير آسره .

ولكن أبي كان غير ما توقعت .. فقد ناداني باسم الدلع وقال: « تعال يا سوسو » .. ثم ظل طوال الطريق يثني علي براعتي ، ويسألني بصوت حنون كيف استطعت أن أقلد حركات العجوز ومشيته ورعشته ، راح يقهقه حتى زال عني الخوف خصوصاً عند وصولنا الى المنزل .. حيث نادى أمي الحبيبة وأخذ يقص عليها كيف ان الناس يصفقون لي ، ويتساءلون عن اسمي .. فضمتني الى صدرها ونادت على أم رقية ، وأمرتها باحضار المنقد والبخور .. وقالت لأبي : « لا بد أن أرقيه من الحسد » !

ما أسعد تلك الليلة .. وما أجمل رضاء الوالدين .. ولكن أبي لم يترك الفرصة تمر دون أن ينبهني بأن امتحان الشهادة الابتدائية قد اقترب ، ويجب أن أنجح وأنال الشهادة كما نجحت في التمثيل .. فاعتزمت ان أبرهن له على أن هوايتي للفن لن تكون حائلا دون نجاحي .

حواء اخرى

ومرة اخرى لعب القدر معي دوراً جديداً .. فقد حضرني

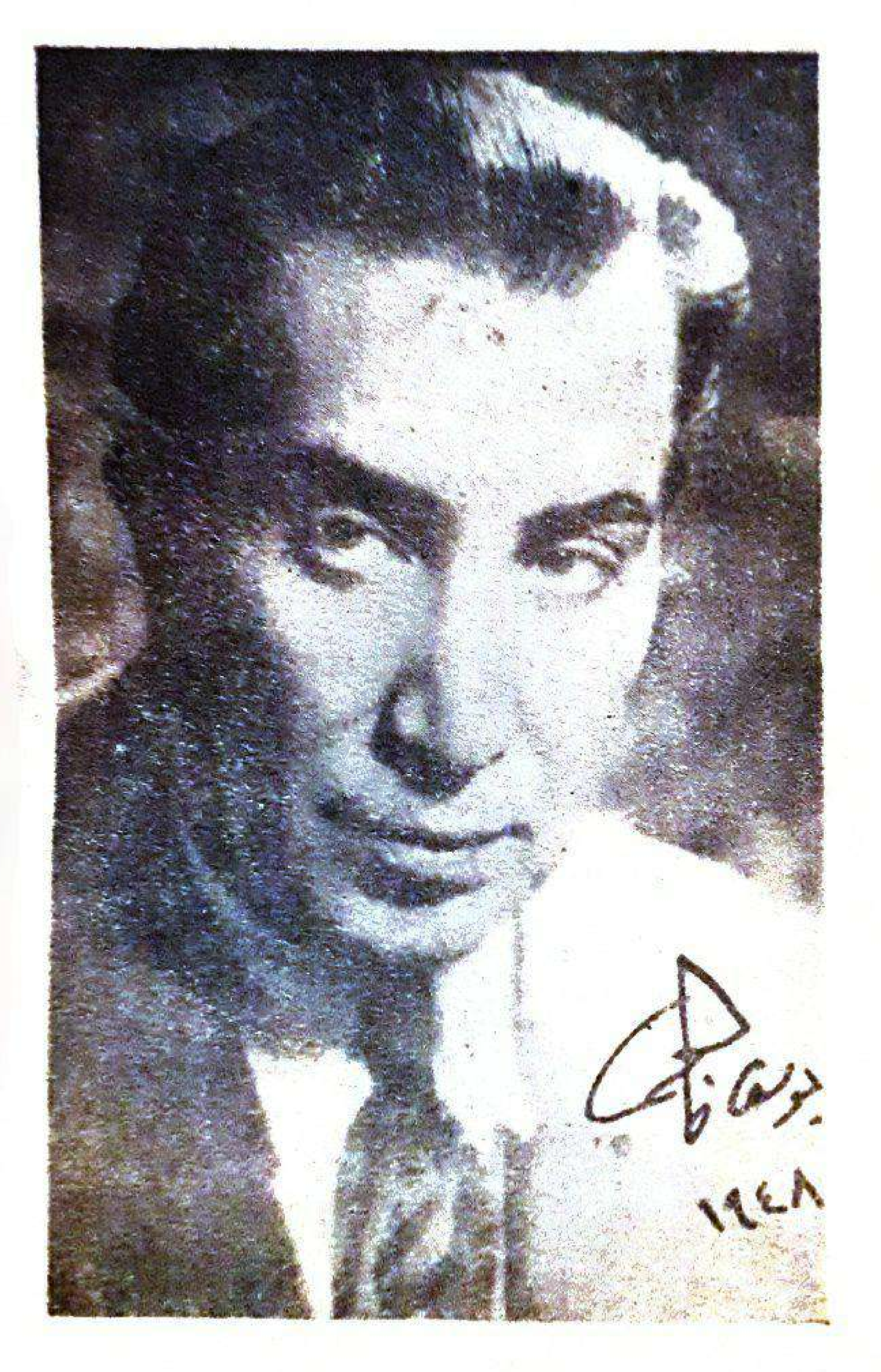
اليوم التالي وجيه من أصدقاء أبي ، وقد اصطحب معه ابنته ..
فتاة في الخامسة عشرة رائعة الجمال من كبار الاسر الريفية ،
وكانت في المدرسة السنية في القسم الداخلي .. ولما عرف أبي ذلك ..
عاتب صديقه .. الوجيه على وضع ابنته في القسم الداخلي ، بينما
هناك بيت صديقه والح عليه في أن نستضيف الفتاة عندنا .. فلم
يتردد والدها في القبول ، ودخلت الى البيت حواء أخرى ..
ولكنها حواء من نوع آخر ..

كان في عينيها خمر ، وفي مظهرها براءة ، وعليها طابع
سذاجة بنات الريف .. كانت ممتلئة الجسم في انسجام .. ذات
قوام ممشوق .. ولم تكن ترفع عينيها طول الوقت ..

كنت عائداً من المدرسة ، وصعدت الى الطابق الاعلى ، طابق
الحريم .. ففوجئت بوجودها ، كانت جالسة على أريكة بملابس
التلميذات بجوار والدتي ، وعلى صدرها مريلة زرقاء وبجوارها
محفظة الكتب .. وقدمتها لي والدتي قائلة : « هذه اختك – فلانه –
بنت عمك فلان » .. ثم التقت نظراتنا فتراجعت .. لماذا تراجعت ؟
لقد خفت – خفت مما قد يحدث – فانا عندي فكرة سيئة
عن حواء – ومدت يدها الي فصافحتها .. كانت يدا سمينة
مربربة – كما كان صدرها نافراً ...

ثم أشارت والدتي لها قائلة : « هذه غرفتك » .. وكانت نفس الغرفة التي كانت تحتلها الافعى .. فهل قدر على هذه الغرفة أن تكون وكراً لكل حية رقطاء .. ؟ أم بالعكس .. قد يتحول هذا الوكر الى محراب .. أو عش غرام .. ؟




١٩٤٨

حب .. وفواكه طائرة .. وفن .. ورياضة ؟

عندما لجأت الى فراشي تلك الليلة قررت في نفسي أمراً .. واتبعت الحديث المأثور : «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين» ولكي آمن على عدم تسرب حواء الجديدة الى غرفتي : أغلقت الباب بالمفتاح .. بيد اني اكون كاذباً اذا لم أرهف السمع ولم أتأرق طوال الليل .. وكأنني رغم التصفف كنت آمل أن أسمع على بابي طرقاً ناعماً ، أو أن أستعيض عن حواء بأخرى.. واعترف انه كان تمنعاً مشوباً بالرغبة .

تؤدي فريضة الصلاة

إلا أن عذراء الريف كانت أكثر مني حذرا وتمنعاً .. ولما أقبل الصباح سارعت بارتداء ثيابي ، وتعمدت الصحو مبكراً كي أجالس السر المغلق على مائدة الافطار ، والفضول يداعبني.. وجاءت مربيتي أم رقية بطعام الافطار ، ثم تقدمت من باب الريفية وطرقته بخفة .. وبعد لحظة فتح الباب وجاءت الصغيرة

تعتذر لأنها كانت تؤدي فريضة الصلاة ..

وحيتني بصوت خافت دون أن ترفع بصرها فسارعت أنا بتقديم الشاي ، فلم تشكرني.. ولكنني لاحظت توريدوجنتيها، وفي دقيقتين كانت قد انتهت وهبت مسرعة ، وأخذت حقيبة الكتب ونزلت دون أن تنبث ببنت شفة .. فتغيظت ونظرت لام رقية وقالت لها : « دي باين طالعةفيها » .. فأجابتني باسمة: « وانت ما لك وما لها » .. صحيح أنا مالي ومالها .. !

وهوت الأيام على وتيرة واحدة .. ما ان تعود من المدرسة حتى تسارع الى غرفتها ، اما انا فقد اقترحت امي ان اذاكر دروسي في الطابق الأرضي بالسلامك .. ففهمت قصدها ووافقت على الكرة فقد اشتد حنقي على الفتاة التي لم تشعر بوجودي .. بل أنها كانت تتعمد الخروج قبل أن أفيق ولا تفارق غرفتها الا إذا ما نادتها والدتي للعشاء حتى يوم الجمعة تبادر بالخروج مبكرة وتقضي اليوم مع أقارب لها ، ولا تعود إلا بعد العشاء .

ولكن حدث ذات يوم ..

ذهبت مع الأخ كريم لحضور فيلم جديد للممثلة الايطالية الشهيرة فرنشكا برتيني في سينما سالونيكا .. وسينما سالونيكا يا

سيدى القارىء كانت تقع مكان بنك مصر الآن .

وعند خروجنا وقفت أنتظر الترام .. وإذا بجواء المغلقة تقف بجواري ننتظر أيضاً ! .. وكانت تحية .. وابتسامة .. ثم ركبنا معاً .. ولأول مرة تحدثنا طويلا .. وعدنا الى البيت معاً وتمشينا معاً ..

وكانت والدتي في زيارة .. فدعوتها لتشاهد آلة السينما الصغيرة .. ومن ذلك اليوم زالت الكلفة بيننا مع تحفظها الدائم .

حب طاهر

وجاء موعد الأمتحانات ، فكنا نسهر معاً ، ثم فاجأتني بأن والدها يصل بعد يومين ، وأنه سيأخذها لتمضي أسبوع الامتحان في بيت أقاربها ... ودون أن أشعر قلت لها : اذن لن نلتقى طوال أشهر الصيف .... فأجابت : قد لا نلتقي أبداً .. لانني قد لا أعود إلى المدرسة ثانية .. فصحت كيف ؟ قالت : قد يزوجونني من أبن خالتي خلال الصيف .. فهتفت : أهذا صحيح ! فنظرت الي طويلا وأنهمرت الدموع من عينيها .

ولا أدري كيف وجدتها بين ذراعي..ووجدت نفسي أضمها الى صدري وهي تقص علي تعاستها ، وانها لا تحب ابن خالتها..

لانه أمي – جاهل – غليظ وفظ .. يا لها من ليلة عرفت فيها معنى الحب الطاهر الشريف .

الشيخ سليم

في اليوم التالي خبرتني والدتي بأن والدي سافر الى العزبة ، وقد كلفها بأن تخبرني أن آخذ العربة وانتظر ضيفاً سيجيء من سوهاج ، وهو الشيخ سليم .

ولقد سهى علي يا سيدي القارىء « وجل من لا يسهى » أن أحدثك في مذكراتي عن سوهاج بقضية هـذا الرجل الغامض العجيب .. قل عني ما شئت وصفني بالابله الساذج الذى يدين بالخرافات .. ولكنها ليست خرافة ولا هما ولا ترهات .. انها حقيقة يعرفها الآلاف ممن عاصروا هذا الشيخ العظيم .. وقد آمن بقدرته على كل أهالي الصعيد وعظماء مصر وكبارها .

كانت لهذا الانسان السلطة على خدام من الجن يحضرون له كل ما يطلب ، وينفذون له كل أمر .. وفي الوقت نفسه كان متديناً الى أقصى معاني التدين مسلماً لا يفوته فرض يسبح بالله عز وجل في كل لحظة .. بينما كان اميا لا يقرأ ولا يكتب .

خوارق ومعجزات

كان هذا المخلوق الغامض يعيش بين مقابر الموتى في جبانه

سوهاج . وكانت هذه المدافن تقع بجوار مدرسة عبد الله وهي التي أسسها أبي .. والناس تتصدق عليه بما يجودون به خلال زياراتهم لمدافن ذويهم فكانت تصدر منه خوارق أشبه بالمعجزات ..

كان اذا ما أراد أن يعبر عن شكره .. يضرب بضع ضربات على فخذه الايمن فتهوى بجواره ثمار الفاكهة أشكالا وألوانا ، فيهديها لمن جادو أو تصدقوا عليه .. ووصلت سمعته الى أبي فذهب اليه مدفوعاً بعامل الفضول ، وقدم له كسوة كاملة لانه كان يعيش عارياً صيفاً شتاء .

ووقعت هدية أبي أحسن وقع في نفس الشيخ ، وسأل أبي: « أتتفضل بقبول شراب الخروب ؟ » .. ثم ضرب على فخذه وشهق وتمتم وهمهم ، فاذا بكوبة الخروب في المثلجة تتقدم في الهواء حتى وصلت لأبي وشربها .. فصاح الرجل: « بالهنا والشفا .. أقذف بها يا سيدى ولا تخف » .. ! فاطاع أبي وقذف بالكوبة فاختفت كأنها تبخرت فذهل الجميع ... وتوالت زيارات أبي له حتى اقنعه بأن يعد له سكناً ، وتوطدت العلاقة بينهما حتى كنا نراه في كل يوم .. وفي كل زيارة كان يأتي بالخوارق والاعاجيب .. وما من مرة طلبت منه شيئاً من ملبس ، وفول سوداني ، واقلام رصاص ، حتى يبتسم ويقول لي : « انهـا في جيبـك » ! ..

فأجدها فعلا .

نزلت من البيت لأركب العربة فاذا بجوائي الطاهرة الحبيبة قد وصلت من المدرسة ، فدعوتها الى ان تصحبني لاستقبال الشيخ سليم فلم تتردد في القبول .. وسارت بنا الخيل وكلانا ينظر الى الآخر ، ومن لحظة لأخرى اكتفي بلمس يدها السمينة البضة .

وجاء القطار ونزل الشيخ سليم من الدرجة الثالثة ، فقدمت اليه محييا .. فما ان رآني مع الفتاة حتى بادرني غاضبا : « ماذا فعلتما اول امس ؟ .. او ليست فلانة « وذكر اسمها » امانة في عنقك استأمنك عليها ابوها ؟ » .. فكدنا نصعق من اكتشاف امرنا ، ولكنه اردف قائلا : « من كرم الله انها ستسافر غداً .. ولن تراها ولن تراك بعد اليوم .. مسكينة يا فتاة انت » .. ثم لم يتم جملته .

وعدنا الى البيت واجمين ..

وكان ابي قد أعد حفلة لاصدقائه من كبار الشخصيات أذكر انه كان منهم عبد الخالق ثروت « باشا » وابراهيم سعيد « باشا » وحشمت « باشا » والشيخ الفلكي وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة .. وقد اراد ابي ان يعد لهم مفاجأة كبرى .

جلسوا جميعاً على العشاء ومعهم الشيخ سليم ، وانتهوا من

طعامهم .. ثم مال ابي على اذن الشيخ وأسر اليه انه في ورطة لأن الخدم نسوا شراء الفاكهة ، ورجاه ان ينقذه من ورطته .

وبعد تمنع ، سأله الشيخ سليم : « ومن هو الفاكهاني الذي تعامله ؟ » فذكر له الاسم والعنوان ، فقال : « اعطني جنيهاً لاني لا آخذ شيئاً بلا ثمن » .. ثم تمتم ودق على المائدة وقذف بالجنيه في الهواء ، وفي بضع ثوان تساقطت الفاكهة على المائدة فجن جنون القوم وصاح الشيخ الفلكي : « انه يستخدم الجن .. انه سفلى » .. والسفلى هو الساحر الكافر .

فهاج الشيخ سليم هياجاً مخيفاً - وصرخ اضربوه - فوقع الرجل من على كرسيه مستنجداً مستعطفاً اياه ان يمنع عنه ضربات العصي .. فصاح ابي : « شيخ سليم اوقف هذا » .. فهب الشيخ سليم وترك المائدة ..

وسارعوا برفع الشيخ الفلكي من الارض ، فجرى تاركاً البيت والضيوف . بينما هتف فضيلة الشيخ قراعة : « سبحان الله العظيم نمنح القدرة لمن يشاء من عباده ... »

لست مشعوذا

ووصل بعد ذلك الاديب الكبير الشيخ علي يوسف صاحب جريدة « المؤيد » .. فقصوا عليه ما رأوه رؤيا العين ، فضحك وقال : أتؤمنون بالشعوذة .. ؟ علي بهذا الرجل .

وكان ابي خلال هذا يسترضي الشيخ سليم حتى سرى عنه .. ولما عاد الى الضيوف قدموه للشيخ علي يوسف ، فنظر اليه الشيخ سليم بعينيه القويتين وقال : لست مشعوذاً يا سيدي .. اني مؤمن مسلم موحد بالله وأنشد رضاه .. فأن كان قد وهبني ما يعنيني على الخالق جل شأنه ، ورجاه ان يتفضل فيريه شيئاً من خوارقه ليزداد اقتناعاً ،

فقال الرجل : انت رجل كريم النفس وانا خادمك فأمر .

وصمت الشيخ علي يوسف برهة ، ثم طلب منه ان يدخل في احدى الصالونات فأطاع .. وسار الجمع خلفه .. وقبل ان يغلق عليه الباب بالمفتاح سأله : هل في مقدورك ان تخرج علينا بثياب غير التي ترتديها ؟

فأبتسم الشيخ سليم وأجاب سمعاً وطاعة ..

كنت واقفاً على السلم عندما اغلقوا عليه الباب .. ولم تمر بضع ثوان حتى فتح الباب الذي كان مغلقاً من الخارج بالمفتاح ، وخرج الشيخ سليم بملابس جديدة في اللون والتفصيل . فهتف الشيخ علي يوسف : الله اكبر الله اكبر ..

وأعود إلى فتاتي .. فأقول انها سافرت في اليوم التالي دون ان تهيء لنا الظروف فرصة الوداع .. ولكن شيئاً حدث بعد

ان جاء والدها وخرجت لوداعها ، صادفت الشيخ سليم عند عودتي فرأى شحوبي وحزني .. فأمسك بذراعي وقال ملاطفاً : تجلد يا يوسف .. فإن فتاتك لن تعيش حتى الشتاء المقبل .

فسألته متلهفاً : « ماذا تقصد ؟ »

أجاب : « الاعمار بيد الله يا ولدي » .. ولم يزد ..

جمعية أنصار التمثيل

جاء الامتحان واجتزته بنجاح ، وحلت محله اجازة الصيف فذهبت للاقاة الاخ كريم فلم أجده بالمنزل ، فسرت أتسكع في الشوارع .. وإذا بي أسمع صوتاً يناديني باسمي ، فتوقفت واذا بالاستاذ محمد تيمور في عربة حنطور فسارعت اليه محييا فقال : « اركب » ..

سألته الى أين ؟ فأجاب : « الى جمعية أنصار التمثيل » .. وسارعت بنا العربة وهو يحدثني أعذب الاحاديث عن الفن والمسرح حتى وصلنا الى الفجالة ونزلنا أمام حديقة عليها يافطة باسم نادي أنصار القوة .. وسرنا في الحديقة فإذا بشبان مفتولي العضل .. هذا يرفع اثقالا ، وذاك يصارع زميلا ، وآخر يقفز وذاك يجري ..

وصعدنا الى الدور الثاني للبناء الملاصق للحديقة .. فإذا بي

أمام جمع من الفنانين الهواة قدمني تيمور العظيم اليهم .. هـذا محمد عبد القدوس ..وهذا محمدعبد الرحيم خريج كامبردج وممثل دور « دافيد جاريك » .. وبجواره داود عصمت . والجالسين عبد الخالق صابر « عضو مجلس الادارة المنتدب في بنك مصر ومن النوابغ الذين تفخر بهم مصر » .. ومعهم الدكتور فؤاد رشيد ، ثم عبد الحليم المصري بطل المصارعة ورفع الاثقال في الشرق ومن ادباء عصره .

وبدا التدريب على مسرحية « دافيد جاريك » .. فراعتني قدرة هؤلاء الهواة المثقفين الذين ينتمون الى ارقى الأسر ،وقضيت معهم ساعتين من اسعد ساعات حياتي .. تفضلوا فيها علي بدور صغير قرأته من النوتة فلفت نظر الاستاذ عبد الحليم المصري .. وكان ان بالغ في تشجيعي .


BURMA
BRITISH CAPTIVES MOVED AT GUNPOINT

الفصل الثامن

عدت للجنة في قطار الموت ؟

لما انتهى التدريب على مسرحية « دافيد جاريك » نزلت الى حديقة النادي ووقفت اتأمل هذا الحشدمن الرياضيين ، وودت لو استطعت ان اجرب قوتي في رفع الاثقال ..فتقدمت متباطئا، وسنحت لي فرصة خلو مكان حمل الاثقال .. ، واقتربت من جلتين في وسطها قضيب .. واستجمعت كل قواي ، ورفعت الثقل بسهولة ، وإذا بي افاجأ بعبد الحليم المصري يراقبني .. وقد سارع الي يسألني : « هل رفعت اثقالا قبل اليوم ؟ » فلما اجبته بالنفي لم يصدق ، وزاد الثقل فرفعته ايضاً .. فصاح : « ان لك استعداداً في الرياضة كاستعدادك في التمثيل .. يجب ان تنضم الى هذا النادي فأنا رئيسه .. وسأدفع لك الاشتراك .. وستأتي في الغد للتدريب .. وسأعني بتكوينك وسوف تصبح بطلا في المصارعة ورفع الاثقال ..

وبدأت هواية جديدة مع هوايتي القديمة فكنت اذهب كل يوم لبروفة

جمعية انصار التمثيل، فاذا ما انتهيت نزلت الى النادي وارتديت « المايوه » وسلمت نفسي لمدرب اختاره لي استاذي عبد الحليم اسمه « الشركسي » .

وتقدمت في بضعة اسابيع تقدما عظيما .. وانستني هواياتي حوائي التي رحلت ، وبدأ جسمي يتكون ويتشكل شكلاً رياضياً ، وشعرت بنمو عضلاتي ... وكنت طروبا باطراء بطل مصارعي مصر الذي كان يرقب تدريبي ، ويصيح في مدربي : « لن يمر شهران حتى يصرعك ارضا .. » !

الثلاث ورقات

وحدث ان اصطحبني استاذي عبد الحليم المصري ، ومعنا بطل آخر – هو المرحوم فايق خيري – وكان من كبار مصارعي مصر – الى حفلة رياضية بحديقة الازبكية استعرض فيها عبد الحليم قوته امام اورطة انجليزية .. وعند خروجنا التقينا بجوار سور من لاعبي « الثلاث ورقات » ووقع نظري على احد المقامرين يربح في كل مرة .. وكان رئيس العصابة يتظاهر بالسكر ويصيح بصوت مخمور : « اللي على السنيورة يكسب » .. وكلما وضع المقامر ريالا على ورقة الكوتشينة ، كان يسترد مبلغه مضاعفاً .. والتصق بنا فرد من افراد العصابة وهمس : « انتهزوا

الفرصة .. ان الرجل الذي لعب مخموراً لا يدري ماذا يفعل ..
واليكم البرهان » .. وجلس امام الرجل وكشف عن ورقة
« السنيورة » ثم عضها بأسنانه وقام وعاد الينا وهمس مرة اخرى:
« لقد علمت الورقة بأسناني ، ومن الميسور ان تعرفوها فهيا ،
انها فرصة لا تعوض للربح الوفير »

تقدمت الاصدقاء ووضعت على الورقة المعلمة ريالا ، فربحت
ثلاثا .. فسارع فايق خيري .. ووضع خمسين قرشاً فخسر ..
فتقدم عبد الحليم المصري ووضع جنيهاً فخسر ايضا ! وانتهى
الامر بان شطب على كل ما كان معنا .

وفجأة صاح فايق خيري : « دول حرامية بتوع الثلاث
ورقات » . فانقض عبد الحليم المصري على موزع الورق .. واذا
بافراد العصابة الواقفين يهاجمونه ، فاندفعنا لنجدة عبدالحليم ،
وقام بيننـا وبينهم صراع هائل انتهى بهرب رجـال « الثلاث
ورقات » بعد ان تركوا لنا عشرة جنيهات ، فقد ربحنا سبعة
جنيهات لأن خسارتنا كانت لا تتعدى الاربعة ، انفقناها في ليلة
ممتعة .. وهكـذا انقلبت الآية فاصبحوا هم الضحايا ونحن ..
بتوع الثلاث ورقات ! .

الى الريف

نجحت في امتحان الشهادة الابتدائية وهنأني ابي، ثم انتقلت الاسرة جميعها الى عزبة والدي ببلدة ابوداود السباخ بالسمبلاوين.. وهكذا اجبرت على ترك القاهرة – بأصدقائها وملاهيها ونواديها وجمعياتها التمثيلية، كي اعيش في جو الريف الذي لا يتفق مع بوهيميتي بالمرة .. نوم من الثامنة مساء، ونقيق الضفـادع، واوركسترا الصراصير ؟.. فأين انت.. أيتها القاهرة الجميلة؟.. وكيف السبيل الى العودة اليك ؟..

مرت الأيام علي كأنها دهور .. ولم احفل لا بالغيطان .. ولا بالجداول .. وكان ابي يصحبني في جولات التفتيش عـلى الزراعة .. هو يركب حصاناً، وانا اركب فرساً، كانت في شبابها وعنفوانها تجر عربتنا بالقاهرة .. فلما هاجمتها الشيخوخة واستبدل ابي العربة بالسيارة اتباعا لسنة التطور والحضارة، ارسلوا بها الى الريف فاتخذتها مطية لي في العزبة .

العودة الى الجنة

اشتد بي الضجر وصممت على ايجاد وسيلة اتذرع بها للعودة إلى المدينة .. مدينة النور .. الى كريم وجمعية انصار التمثيل، ونادي انصار القوة، وسينما الكوزموجراف وايديال ...

وهبط علي الوحي ، وتفتق ذهني عن حيلة مدهشة .. فبينما كنت اتبع ابي على فرسي تظاهرت بالسقوط وصحت : قدمي . قدمي .. فنزل ابي من على جواده صائحاً : اسم الله عليك .. وعاونني على الوقوف ... فصرخت الما .. واسرع ناظر الزراعة والخولي فحملوني ، وتظاهرت بالأغماء .! ولما وصلنا استدعوا لي فلاحاً له دراية بفن التجبير ومعالجة الإلتواء ، فطلب ماء ساخناً وصابونا. وما ان اختليت به حتى اتحفته بريزة نصف ريال وافهمته ما يجب ان يقول .. فأعلن للاسرة انه يخشى المضاعفات ، وان الأمر يستدعي إستشارة برسومة المجبر في القاهرة .. وفي اول قطار صباح اليوم التالي ، كنت مع مربيتي في طريقي الى .. الجنة .. !

واكتشفت مربيتي حيلتي عندما راتني اقفز في دهليز عربة القطار كالغزال النافر ..

قطار الموت

بيد ان فرحتي تقلصت واختفت الابتسامة من فمي عندما التقيت في القطار بوالد حبيبتي الريفية .. رأيته شاحباً محمر العينين متشحاً بالسواد ، وانقبض صدري لمرآه .. فقداحسست بوقوع كارثة . وقد لمحني الوالد الحزين فصاح ملتاعاً : يوسف ..

ماتت اختك «س» احترقت بالنار .. فصرخت : احترقت ..! اجاب والدموع تنهمر من عينيه : صبت على نفسها جاز بعد دخلتهاباسبوع .. وقلت : دخلتها ؟.. هي تزوجت ؟.

وغمغم الوالد الحزين : تزوجت الموت .. لقد هددتنا بانها ستفعل بنفسها سوءاً .. فلم نصدق .. كانت تكره ابن عمها .. اجبرناها على الزواج منه .. انها في هذا القطار ..

فسألت ذاهلا : «كيف في هذا القطار »؟ فأجاب : « نعم نعشها .. سندفنها في بلدتنا ».

اقسم انني في تلك اللحظة شعرت بالنار التى احرقتها تكوي جسدي وتشوي اعضائي .. لم انبس ببنت شفة ، وشعرت بشيء في نفسي يموت ..... ويدفن ... اهو القلب ..؟

كان القطار يصفر فخيل الي انه يعول .. وكان دوي عجلاته الفولاذية على القضبان اشبه بدفوف الندابات .. وكنت اهتز اهتزازاً عنيفاً فتصطدم راسي في خشب الباب الذي استندت عليه .. فخيل الي انني الطم ، وافقت على نغمات موسيقى حزينة مختلطة بضجة القطار ، وظلت تعلو والقطار يتمهل ..

وفجأة دوى صراخ مريع في اذني .. انهم المشيعون ينتظرون الجثة على المحطة ، وقد استحضروا لها فرقة نحاسية

تعزف لحن الموت .

اول خطوط المأساة

وتدافع مئات من الناس ، ورايت بعضهم ينزلون خشبة مغطاة بالحرير الأبيض .. ودون ان ادري ، اندفعت ونزلت من القطار ، ثم وجدت نفسي وسط هذا الجمع الزاخر ابكي وازفر واناديها كالمجنون ..

وكانت هذه اول خطوط للمأساة يخطها القدر في كتابي ، واول قصة واقعية تصلح مسرحية درامية .. ومرة اخرى اقرر ان ما يقع للمرء من حوادث ، يخلق شخصيته ويؤثر على طابعه وخلقه .. وخاصة إذا صادفته تجارب قاسية في سن المراهقة .. فقد كنت ساعة ان فقدت فتاتي في اشد الحاجة الى من يواسيني ولكنني لم اجرؤ ان اصرح بألمي فـأخفيت الحقيقة بين ضلوعي .. وشتان بين شخص ينفرد بألمه ، وآخر يجد حوله من يواسيه .. لهذا جنحت الى رسم المآسي لاشراك النظارة فيها .

بقيت يومين في ضيافة الوالد المكلوم .. وفي اليوم التالي حضر والدي لتعزية صديقه ، فأضطررت الى التظاهر بالعرج .. وقد سر والدي كثيراً عندما عرفـ انني نزلت من القطار لأسير في الجنازة ، واكبر فيَّ هذا الشعور .... وصحبني حتى

ودعني على المحطة وهمس في اذني : كنت اعرف انك اختلقت حجة لتعود الى القاهرة .. وكنت غاضباً عليك .. ولكن بعدما سمعت أهل البلدة يتحدثون عن شهامتك ورجولتك — فقد صفحت .. اذهب الى أصدقائك في القاهرة كما تريد ..

في مواكب الفن

امضيت بين خلاني خمسة عشر يوماً خففت كثيراً من المي وانتهزت فرصة عدم الرقابة فكنت اسهر حتى الثانية صباحاً.. وعرفت الكثير مما كنت اجهله ، وواظبت على حضور بروفات جمعية انصار التمثيل ، واستمتعت بغناء منيرة المهدية بقوة نزهة النفوس ، وشاهدت رقص شفيقة القبطية بالشمعدانات ، ورأيت الوجهاء يغسلون الصالات باراقة عشرات الزجاجات من البيرة.. والشمبانيا . وحضرت فرقة النمساويات التي كانت تكون اوركسترا «كافية دي لابيه» .. كل هذا وانا في الرابعة عشر .

وذات ليلة استأجرت عربة في الثانية صباحاً لتوصلني الى المنزل في حي المنيرة .. ولما وصلت الى شارع الفلكي لمحت شلة من الوجهاء يسيرون الهوينا ويتسامرون .. فلما حاذيتهم تميزت صوت ابي، فذعرت وانكمشت داخل العربة، الا انني لاحظت انه لمحني فخشيت المغبة ورفعت عقيرتي بالغناء الاوروبي كأنني

احد الطليان .. !

وما ان وصلت الى البيت سألت البواب عن ابي فقال انه لم يعد ، وكان ان سارعت الى غرفتي وخلعت ملابسي واطفأت النور وتظاهرت بالنوم العميق ..

وبعد بضع دقائق شعرت بوصول ابي ، وفجأة سمعته يغني مقلدا اللهجة الايطالية التي كنت اغني بها وهو يصعد السلم ، وعندما وصل الى غرفتي فتح الباب وقال : « نمت يا خواجه..؟ بوناسيرا سنيور جوزي ..؟ » .

الفصل التاسع

انشأت جمعية سرية ...

دخلت المدرسة السعيدية .. وهناك وجدت معي في نفس الفصل بالسنة الاولى صديق الصبا ،والشاعر العظيم « عزيز اباظة » وكان كما هو الان حياً ، ذا ادب جم ورقة .. ثم التقيت بفتى صعيدي غريب الاطوار مفرط الذكاء، مع دهاء وحذر ..ساخر حاضر النكتة، يكره مدرس اللغة الانجليزية له شخصية جذابة مع شذوذ محبب .. تعارفت عليه ، وكان مفتاح التعارف انني وجدت على المكان الذي يجلس فيه رواية « فانتوماس » اللص الرهيب .. وحدث مرة ان طرده مدرس الانجليزية من الفصل، لانه ضبطه يشرب سيجارة..فلما انتهت الحصة سمعته يهدد بقتله، واخرج من جيبه مسدس و « بوتيه » حديد وخنجراً ومقصا.. اما المسدس فقد عرف فيما بعد انه من لعب الاطفال ، اما الفتى العجيب كان اسمه « مختار عثمان » الذي اصبح فيما بعد اظرف وابرع فنان كوميدي بفرقة رمسيس .

توطدت بيني وبين مختار اواصر الصداقة .. فكنا لا نفترق ابـدا ، وانضم بالطبع الى شلتنـا واجتمع بمحمد كريم .. كان مختار مجنونا باعمال « فانتوماس » ، وشخصية شارلتوك هولمز و « نقولا كارتر » ..

وفي بيت محمد كريم اتفقنا على تكوين جمعية سرية ، واخترنا قاعة مظلمة من بيت كريم القديم ليس بها نوافذ ، وطليناها بالطلاء الأسود .. على ان نجتمع فيها ونحن نلبس قفاطين واقنعة سوداء !.. ان لم يكن لهذه الجمعية السرية هـدف سوى التشبه بابطال روايات المغامرات .. وبطبيعة الحال ضممت مختار الى نادي انصار القوة وجمعية انصار التمثيل .

مونلوجست

.. ولأول مرة في تاريخ الفن في مصر بدأت اقدم المنولوجات الغنائية على الطريقـة الاوروبية !.. وكانت اولى الحفـلات بالنادي الاهلي حيث بدأت هذا النوع الجديد بمونولوج «هشكوه» ، ونجحت نجاحاً عظيما .. وفي النادي الاهلي التقيت ايضا لأول مرة بالنابغة فكري اباظة ، والصديق عبدالله اباظة .. وكلاهما من عشاق فن التمثيل ، وكانا يصلحان لأن يتزعما فن التمثيل في مصر ..

وجمعت الحفلة الساهرة الاولى الفنان محمد تيمور ، وفكري اباظة ، وعبد الرحيم ، وداود عصمت ، وحسن فايق ، ومحمد عبد القدوس ، وكان اول المهنئين لي اخي فكري اباظة ، والمرحوم — المستشار — فؤاد انور ..

ونال هذا اللون الجديد نجاحاً وانتشاراً ، ووافق ذوق الجمهور الراقي .. وبعد «هشكوه» قدمت « الجندي الشجاع » .. ثم اشتركت مختار عثمان معي في ديالوجات غنائية ذاع صيتها ، ثم لحنت للزميل حسن فايق لحن «الكوكايين» الشهير الذي غنته مصر بأسرها . وتهافتت النوادي تطلبنا في سهراتها وحفلاتها ، حتى ظهرت لاول مرة على مسرح دار الاوبرا ، ثم اشتركت مع جمعية أنصار التمثيل في مسرحية « العرائس » .

وذات يوم طلب مني استاذي المرحوم محمود مراد ان اشترك في تقديم مسرحية غنائية باسم « جواب حبيبي » على مسرح « كازينو دي بارى » الذي كان يقع مكان سينما ستديو مصر الآن ..

تقل ودلال !

وفي هذه الحفلة تعرفت بفنانة كانت في ذلك العهد بارعة الجمال اسمها « احسان كامل » .

كانت الحفلة نهارية .. ولما انتهينا منها دعونا احسان كامل

لمشاهدة فيلم بدار الكوزمجراف ، ولاحظت خلال عرض الفيلم ان احسان كامل تحاول لفت نظري بطرق مختلفة .. الا انني تظاهرت بالتقل وسقت الدلال ! .. .. فاغتاظت وقالت لي : « انت متكبر ومغرور .. او تظن نفسك فنانا عظيما؟ » فأجبتها : « بلاشك » .. فضحكت ساخرة وقالت : « عندما تكون فرقة ضمني اليها .. » قلت : « سأفعل » ..

وبعد سبع سنوات .. كانت احسان صادق اول ممثلة تعاقدت معها عندما كونت فرقة رمسيس .

رهان على مسدس

انتقلت الى السنة الثانية بالمدرسة السعيدية وكان اول م تعرفت به من زملاء الفصل ، فتى وسيما ذا وجه معبر .. ملامحه تشبه الى حد كبير الممثلين الامريكيين واسمه « محمد صدقي » .. فانضم الى شلتنا ، وكان رياضياً من الدرجة الاول ومن ابطال « الجمباز » .. وتوطدت اواصر الصداقة بيننا الى حد اننا كنا لا نفترق ابداً ..

كان يقطن بضاحية الزيتون ، وفي كل يوم خميس نذهب ثلاثتنا انا وكريم وصدقي الى السينما ، اما في يوم الجمعة فكنا نقضيه في بيت واحد منا من الصباح حتى المساء ..

كان صدقي يجيد ايضاً اصابة الهدف بالمسدس ، وكان يملك مسدساً حقيقياً .. وكان الحصول على مسدس في ذاك العهد من الصعوبة بمكان .. واشتدت بي الرغبة في ان يكون عندي مسدس مثله .. فحاولت بشتى الوسائل ان اخذه منه فرفض ، فاغتظت وصممت ان آخذه بأي حيلة .. وفي النهاية راهنته انني استطيع ان استحوذ على مسدسه اذا اصر على الرفض ، فتحداني وقبل الرهان ..

اجتمعنا انا وكريم ثم وضعنا الخطة .. وفي يوم الخميس تواعدنا نحن الثلاثة امام سينما الكوزمجراف في حفلة الساعة السادسة .. وذهب صدقي في الموعد المحدد لملاقاتنا ..

بوليس سري

اما انا ومحمد كريم فقد اخذنا قطار ضاحية الزيتون ، وقد ارتدى كل منا قبعة .. وما ان وصلنا الى الناحية حتى وضع كل منا شنبا مستعارا .. وقصدنا الى منزل صدقي وطرقنا الباب ..

وكنا نعرف ان عائلة صدقي تتكون من السيدة الفاضلة والدته ، ومن اخته الصغيرة ، ومن خادم عجوز ضعيف البصر .. وما ان فتح لنا الخادم الباب ، حتى فاجأناه باننا من رجال البوليس السري ، وكان رجال المباحث في ذلك العهد من الطليان واليونانيين ..

وحدثناه بلكنة اجنبية طالبين تفتيش المنزل ... فحل افراد الأسرة الصغيرة فزع شديد ، ورضخوا للأمر الواقع .. ولم تمض عشر دقائق حتى وجدنا المسدس مخبأ في دولاب الملابس بغرفة نوم محمد صدقي ، فاستولينا عليه وخرجنا مسرعين .

وكان صدقي قد ذهب الى السينما فلم يجدنا .. وعندما عاد الى البيت اخبرته امه بما حدث .. وجاء في اليوم التالي الى المدرسة اصفر الوجه مضطرب الاعصاب ، لان حمل السلاح في ذلك العهد – عهد الاحتلال البغيض – كان ممنوعاً منعاً باتاً ..

وقص علينا الخبر وهو يرتجف ، فلم نستطع مقاومة الضحك .. وقصصنا عليه الحقيقة ، الا ان والدته غضبت لهذا غضباً شديداً ، وامرت ولدها بقطع علاقته بنا .. الا انه رغم هذا الفصل البارد ظل على عهده صديقاً وفيا ..

ونحن بدورنا اسفنا على هذه الشقاوة ورددنا له المسدس ..

اما هذا الفتى يا سيدي القارىء فقد اصبح فيما بعد شخصية شهيرة . فهو اول طيار مصري استقل طائرة بمفرده من اوروبا الى مصر واستقبلته القاهرة استقبال الغزاة الفاتحين .

ثم حل موعد امتحان الكفاءة .. وكنا بالطبع على غير

استعداد له ، فقد أضعنا السنة الدراسية في البحث ودراسة قصص المغامرات .

مشروع حريق

اجتمعنا انا وصديقاي وشقيقي علي لبحث الموقف .. اما صدقي فقد كان مستعدا للامتحان فسخو منا ، اما مختار الجريء فقد عرض علينا امراً خطيراً .. لا يخطر على بال ..

اقترح مختار ان يحرق (الصوان) المعـد في ساحة المدرسة السعيدية للامتحان .. فاتهمنا صدقي بالجنون ، وهزا من مختار عثمان هزا شديداً وانسحب من الاجتماع .

في اليوم التالي التقينا في بيت مختار ، وكان يقطن في شقة بشارع محمد علي ، وشرح لنا الخطة الجهنمية .

اقترح علينا ان اقوم بالقاء حزم الخشب (الشراق) المشبعة بالبترول بعد اشعالها من مبنى المدرسة على الصوان .. على ان يقوم هو وشقيقي علي بتقطيع خراطيم الحريق كي لا يستطيع احد اخماد النار .. وفي يوم الخميس قبل موعـد الامتحان بثمان واربعين ساعة نفذنا الخطة ..

قذفت انا بالخشب المشتعل فوق الصوان ، ولم يرني احد ،

اما مختار وشقيقي على فقد ضبطا متلبسين بالجريمة .. اماالصوان فلم يحترق منه الا جزء صغير من القماش ، ثم انطفأ بفعل الهواء..

وكانت النتيجة بالطبع رفض مختار عثمان وعلي وهي من مدرسة السعيدية ، وحرمانهما من الامتحان وسقطت في معظم المواد ! . .

حيلة تليفونية !

وعرف ابي بالحادث ، وضرب اخي ضربا مبرحاً .. ولما كان في ذلك العهد وكيلا للجمعيةالخيرية الاسلامية واحد مؤسسيها ، وكان للجمعية مدرسة ثانوية تحتل منزلا قديما في حي الدرب الاحمر.. فقد قرر الحاقي انا وشقيقي علي بتلك المدرسة ، مع توصية ادارتها بمراقبتنا ومعاملتنا بشدة متناهية .. فما كان من مختار الا ان التحق هوايضا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية معنا .

كان ناظر المدرسة في ذلك الوقت فضيلة الشيخ احمد حسين (وهو شقيق نابغة الادب طه حسين) .. وكان يدرس ايضا آداب اللغة العربية .. فناداني انا وشقيقي والقى علينا درسا في فوائد العلم، وانذرنابالعقاب الشديداذاماقصرنافي تحصيل دروسنا.

الا اننا لم نرتدع .. فكنا نكثر من الغياب والتاخير في الحضور ، فما كان منه الا ان بعث برسالة الى ابي اشبه بتقرير

واف عن اهمالنا وتراخينا في تحصيل العلوم .. ومن محاسن الصدف ان وقع هذا الخطاب في يدي قبل ان يصل الى والدي ، فطلبت الشيخ احمد حسين بالتليفون ، وقلدت صوت ابي وطلبت منه ان يتجاوز عن اهمالنا . . وانطلت الحيلة على السيد الناظر !..





استاذي العظيم ..

واقفز سنوات حتى لا اكرر ذكريات معادة . اقفز الى اليوم الذي استبدت فيه هواية التمثيل بي وقررت السفر الى ايطاليا لدراسة فن التمثيل هناك .

٤ يناير عام ١٩١٩ ، ميلانو يغمرها الضباب وتتعذر الرؤية فيها الى امتار ، والناس يتحركون كالاشباح في ذلك الصباح البارد ، وانا الغريب الذي وصل تواً من القاهرة لا اعرف الى أين اتجه .. وظللت ابحث عن فندق معتدل الأجر لأوقع مع صاحبه اتفاقية اقامة طويلة المدى ، يكون اول بنودها الهبوط بالأجر ، ولكنني لحسن الحظ صادفت ميكانيكياً يدعى تبسوتو يعمل في مسرح ايدن ، اشهر مسارح ميلانو على الاطلاق في ذلك الوقت ، وقد اواني تبسوتو في بيته بعد ان عرف انني جئت الى ميلانو لأتعلم الفن ، وفي تلك الليلة ، الاولى في ميلانو ، قابلت كيانتوني العظيم ، اريد ان اقول رايت كيانتوني مجرد

روية ، فما كان يستطيع مقابلته الا علية القوم وكبار الصحفيين واساتذة الفنون ، ورفع الستار عن مسرحية «كرسي الاعتراف» وازداد اتساع فمي حين سمعت كيانتوني يمثل ويتحرك على خشبة المسرح ، كان عجيباً ، كان فذاً ، كان عبقرياً !

واستقر في رأسي ان يكون كيانتوني مثلا اعلى لي ، وقد استطاع «تبسوتو» ان يجد لي عملا في مسرح ايدن ، كمساعد له .

وبدأت ارقب الفرصة لألفت نظر كيانتوني الي ...

وجاء حسن الحظ حين تغيب العامل الذى يودي طلباته ، ونسي مدير المسرح ان يوكل اي عامل آخر للقيام بهذا العمل ، فأقتنصت الفرصة وتطوعت لاداء هذا العمل من تلقاء نفسي ، وكان لا يغادر المسرح حتى يجدني اطوع اليه من بنانه . كنت سعيداً وانا ارى هذا الرجل العظيم وهو يؤدي دوره الهائل في مسرحية «كرسي الاعتراف» ، كان هذا يكفيني رزقاً وزاداً .

وازداد اتصالي بكياتوني حين كان يصرخ طالباً احدى حاجاته فأسرع بها اليه قبل ان يسرع اي عامل آخر ، واصبح

وجهي مألوفا له ، ثم بدا يحبني ويعطف علي لفرط ما ابديه نحوه من امتثال وحب وطاعة . وسألني ذات يوم عن اسمي وجنسيتي ، وعرف انني مصري فنسي الاسم وتمسك بلقب المصري يناديني به إذا رآني .

وسألني كيانتوني ذات مرة عن سر مجيئي الى ميلانو ، فقلت له :

– لقد جئت لأتتلمذ على يديك ، ولكنني الآن انظر اليك على انك اله . فضحك ضحكة مدوية وقال :

– الليلة يا ايها الاجبسيانو الصغير ستقف على مسرح ايدن !

وكان كيانتوني صادقاً في وعده ، فقد اديت في تلك الليلة دور احد الشماسين الذين يسيرون خلفه في المسرح كلما سار . وكانت شخصية كيانتوني الحقيقية تذوب ولا ارى فيه إلا بطل المسرحية التي يمثلها . .

وازدادت علاقتي بكيانتوني توثقاً على مر الايام ، وحين علم انني من اسرة طيبة ، وانني ضربت عرض الحائط بكل التقاليد في سبيل ان اصبح ممثلا اخذني عنده في بيته، وجعل من زوجه اما لي ، وجعل من نفسه اباً واستاذا ، وجعل يعيد الي

بأدوار لابأس بها في مسرح ايدن ، وصار الكل في المسرح ينظرون الي نظرة اكبار واجلال على انني ابن كيانتوني الروحي ، وقد راى كيانتوني ان ادرس الفن في منابعه الاصيلة فسعى لي حق التحقت بمعهد الدراما بميلانو ..

وعدت في ميـلانو الى مصر بعد ان تشربت كل روح كيانتوني الفنية .

ومـا كدت اعود من ميلانو حق شرعت في تكوين فرقة رمسيس .

وكنت عائداً الى بيتي في الزمـالك حين شاهدت على الحوائط إعلانات عن فرقة كيانتوني التي ستقدم مسرحياتها على مسرح الكورسال ، وقد فرحت اشد الفرح ، وقررت ان ابحث عن كيانتوني في المساء لاستقبله استقبالاً يليق به ، وارد اليه بعض معروفه .

تناولت طعام الغداء في ذلك اليوم ونمت بعد الظهيرة ، ولكن الخادم جاء يوقظني ويقول لي : واحد خواجه ومعاه الست بتاعته عاوزينك .

وخرجت لاجد كيانتوني ، استاذي العظيم ، مع زوجته ،

ومعهما الحقائب ، وعانقني كيانتوني عناقاً حاراً وقال :

– عفواً إذا كنت ازعجتك ، ولكن ليس من المعقول ان اذهب الى فندق في القاهرة ، وفي القاهرة بيت لولدي ..

ورحبت بكيانتوني الترحاب اللائق به ، واعددت له غرفة مريحة ، وقلت له :

– انني مسرور لانك جئت في الليلة الاولى التي تشاهد فيها القاهرة تلميذك .. فالليلة افتتاح فرقة رمسيس ، وستكون مسرحيتنا « كرسي الاعتراف »

وحين اسدل الستار عن الفصل الثالث من المسرحية كان التصفيق يزلزل القاعة ، وقد خرجت الى الجماهير من وراء الستار وقلت لهم :

– اذا كان هناك من يجب ان تصفقوا له ، فهو هذا الفنان العظيم الذي يجلس في اللوج رقم ١٢ ، انه استاذي كيانتوني الذي علمني كل شيء ..

وهتفت الجماهير لكيانتوني العظيم .

* * *

وقدر لي ان اعود الى ايطاليا ومعي هذه المرة مختار عثمان . كنا نطلب الفن في روما ليلا ، ونبحث عن لقمة العيش

نهاراً في شوارع روما الواسعة .

وكان يسكن معي في غرفتي الاستاذ مختار عثمان .. وتحرجت الامور بيننا وبين صاحبة البنسيون الى درجة خطيرة وكنا نبتدع كل يوم عدة اساليب في مفاوضتها لننتظر حتى ياتينا الفرج من حيث لا ندري :

الى ان جاء يوم اعتزمت فيه المرأة ان تحدد موقفنا منا .. وجائني مختار وانا في حانة صغيرة وانذرني بأن صاحبة البيت هددت بالويل والثبور - وبدون شك - عظائم الأمور ايضا . هددت بأن مبيتنا الليلة في البنسيون مرهون بدفع المتأخر .. وكان المتأخر مبلغا كبيراً ..

وعدت في آخر الليل استعيذ بالله ومن لقاء السيدة المحترمة صاحبة « البنسون » ولسوء حظي كانت الليلة ليلة عيد ميلاد ابنتها .. ووجدتها في سهرة مع مدعويها ، وانتهزت الفرصة فقدمت لتهنئة ابنتها .. ولما ناولتني يدها لأصافحها، استبقيت يدها في يدي طويلا وفجأة قالت لي:

- الست من ابناء الشرق ..؟ اذن لماذا لا تقرا لي كفي ..؟

وقلت في نفسي :

« فرجت وسوف استطيع ان استغل الفرصة لتقريب

وجهات النظر بيننا وبين صاحبة البنسيون . . . ولكن كيف اقرا كفها ؟

ونظرت الى مختار ، ونظر الي هو . . ثم اسرع يؤكد لها ان اسرتي قد اشتهرت بقراءة الايدي ابا عن جد ، واتجهت نحوي عيون الموجودين من مدعوي الحفلة .

وقلت في نفسي : «ياصابت يا الاثنين عور» . . وبدات احدق في كفها ، وفي كل دقيقة اقول : هناك سر كبير في حياتك . . . وقعت في حب . كنت موشكة على الموت من مرض . امـامك سفر بعد سنوات .

ونسيت العجوز صاحبة البنسيون الايجار وقدمت لي يدها وتوالت الكفوف الناعمة ، وحصلنا ليلتها على عشاء فاخر وشراب وفي الصباح كنا نبحث عن بنسيون آخر . . !

ونسينا هذه الليلة وكنا نتندر بها كلما تذكرناها انا ومختار . . وبعد شهور كنت اقطع احد الميادين ، واذا بصوت يناديني بشدة . والتفت لأجد سيدة لا اعرفها تتقدم مني لتقول :

— سنيور . . سنيور هل تسمح بان نجلس سويا قليلا . . .؟

وسمحت فدخلنا مطعما متواضعا ، واذا بالدموع تنهمر بدون مقدمات من عينيها . . . وتعترف لي بأن كل ماتنبئت به لها قد وقع

وتذكرت انها كانت من بين مدعوات صاحبة البنسيون . وتريد ان اقرأ لها كفها مرة اخرى . . فهي تخشى تموت في حادث كما قلت لها في ليلة الحفلة. ودفعني ما رايته من اضطراب في اعصاب الى الاعتراف بان المسألة كانت مداعبة بريئة ، ويجب ان تعتبر كل ما سمعته مني كأنه لم يكن . . ولكنها ظنت انني مشفق عليها وانصرفت وهي تنظر الي في شك وكأني ساحر من سحرة اساطير الهند .

الفصل الحادي عشر

عندما فكرت في الانتحار

كان هو الحب . . . الحب . . الاول

وكانت بطلته حسناء اغريقية احببتها بكل كياني . . بكل قطرة من دمي . وبكل لمحة من تفكيري . .

ولكنني كنت لا ازال تلميذاً في مدرسة الزراعة ، دون العشرين ، لامورد لي الا تلك القروش المحدودة التي ينفحني بها ابي كل صباح .

ومع هذا فقد استرسلت معها في قصة الهوى ، حتى اصبح شبه جنون حملني على ترك المدرسة ، فطردت من البيت ولم تعد في جيبي حتى تلك القروش المحدودة التي كان ينفحني بها كل صباح .

والحب ليس مجرد قبلات وعناق . ان القبلات والعناق قد يكونان غذاء للروح . . ولكن للجسد مطلبه من الغذاء ايضاً وللحب تكاليفه وتبعاته .

وقد كانت حسناتي الاغريقية لاتملك شيئاً من الدنيا غير الجمال والطهر .

وكنا نتحدث عن حبنا ، وعن مستقبلنا ، وعن عشنا المقبل فأسمع في صوتها شيئاً يدفعني الى الكفاح . الى طلب المجد . .

وكنت احلم بمجد المسرح . . . فهمست لها انني سأسافر الى ايطاليا ، وسأتعلم ، وسأقف على المسرح كممثل لامع ، وسأكافح وسيكون كفاحي ـ من اجلها ـ سريعاً مكللاً بالنجاح .

وسأكتب اليها دائماً . . ويوم انجح ، سأكتب لها لتلحق بي هناك ، ونتزوج ، ونعيش معاً الى الابد .

وتعاهدنا ودعتني والدموع تترقرق في عينيها ، رافعة يديها الى السماء تستعجل اليوم الموعود .

* * *

وسافرت الى ايطاليا . وهناك بدأت المأساة .. مأساة فتى دون العشرين ، وحيد ، طريد أهله ، غريب عن وطنه ، جائع شريد تتقاذفه الانواء .

هناك عرفت الجوع كما لم يعرفه فنان في الارض !

كنت اعيش على الجزر اياماً طويلة ، لانها ارخص شيء في ايطاليا .

وكنت اكسب قوتي بالكفاح المر في احقر الاعمـــال .. كنت احياناً اعمل كحمال مناظر بالمسرح وكخادم وجرسون ، وكومبارس .

كل هذا من اجل العيش ..

اما من اجل الفن ، فقـد التحقت بالكونسير فتوار « فيلو دراماتيكا ايتاليانا » ... ونجحت ... وبرزت على اقراني .. وكنت الاول بينهم .

واخـذ استاذي « كيانتوتى » بيـدي ، وهو سيد المسرح الايطالي يومئذ ، فشق لي طريق النجاح .

وكنـت اكتب الى حسنائي كل يوم .. ابشرها باليوم القريب الموعود .

* * *

وذات يوم ، جاءني منها رسالة تقول لي فيها ان امها مريضة بالسرطان .. وان علاجها يتطلب نفقات طائلة لا قبل لها بها ... وان هناك رجلا من الاثرياء ينصب شباكه حولها « صغيرتي » ، ويعرض عليها ما تشاء من المال ، على ان تكون خليلة له .

وصارحتني بأنها لا تحبه .. لان حبها لي جزء من كيانها ، وهو حياتها وغذاؤها ومستقبلها .. ولكن ماذا تفعل ؟

هل تترك امها في هذا العذاب الى ان تموت ؟

قرأت رسالتها مرة واثنتين وثلاثاً .

وتحيرت : بماذا اجيب ؟

وصدقوني ايها القراء .. لو كنت احكم على الموقف بعقليتي اليوم ، لما ترددت لحظة في ان اقول لها: استسلمي له .. ووداعاً .. هكذا اراد القدر .

ولكنني ، كما قلت لكم ، كنت فتى دون العشرين ، والحب في هذه السن يقترن بالانانية .

وقبل ان استقر على جواب .. جاءني خطاب منها ، مجلل بالسواد .

وما ان رايت علامات الحداد على ظرف الخطاب ، حتى شعرت باعظم فرحة في حياتي !

انظروا الى انانية الحب !

لقد تلقيت ان امها قد ماتت .. وحسم القدر الموقف على هذه الصورة .. وستبقى فتاتي لي لا تمد يدها الى الرجل الثري الذي يريدها خليلة له ، كثمن لانقاذ حياة امها !

وفتحت الخطاب ويداي ترتعشان من الفرحة .

ولكنها فرحة لم تتم ...

ان امها لم تمت .. بل روحها - روح فتاتي - هي التي ماتت !

لقد استسلمت للرجل الثرى تحت ضغط الحاجة الى المال لعلاج امها ، واصبحت خليلة له ...

بعثت لي بهذا الخطاب تنعي روحها المفقودة !

* * *

اسودت الدنيا في عيني ..

فيم اذن كان العهد ، وكان السفر ، وكان الجوع ، وكان كل هذا الكفاح المرير ؟

وما لذة النجاح ... بعد فقد غايته ؟

كان لي صديق ايطالي طيب القلب ، يسكن معي وكان على علم بتفاصيل المأساة .

فلما وصلت المأساة الى هذه المرحلة ، اخذني من يدي ، وخرج بي ، وذهبنا الى حانة للنبيذ .

وكنت لم اتذوق طعم الخمر في حياتي الى ذلك اليوم ، ولكنه قال لي ان الخمر هروب من الواقع .. انها تمهد لي سبيل النسيان الذي انشده .

وشربت معه ...

شربت ، وكنت كلما شربت كأساً وانا افكر في مأساتي ، احسست انني في حاجة الى كأس اخرى .. وثالثة .. ورابعة ..

وخامسة .. لست اذكر كم كأساً شربت في تلك الليلة ...

ولكن الذي اذكره ، انني شربت ، سرت مع صاحبي في الطريق وقد استولت على كل مشاعري فكرة واحدة .. الانتحار !

اجل .. لا بد ان انتحر ..

ان الموت وحده هو الذي يستطيع ان يضع نهاية لليأس الذي اعانيه .

وكان اقرب طريق للانتحار هو ان القي بنفسي تحت عجلات اقرب ترام .

واحس صاحبي بما يراودني ، فتعلق بي ، ولم استطع الافلات منه ، رغم كثرة محاولاتي يومئذ .

واخيرا اصطنعت الهدوء ، وقلت له :

— لقد هدأت نفسي .. ان الحياة حلوة .. والانتحار غفلة ، وسوف اركب الترام الى آخر محطة ... الى حدود روما .. لأستنشق الهواء وحدي ، ثم اعود .

قلتها بكل ما اوتيت من مقدرة تمثيلية ، فصدقني .

اما انا ، فقد كنت مصراً في نفسي على الانتحار ، وقد آثرت ان انتحر في مكان هادىء بعيد ، عند حدود المدينة ، حتى لا يتدخل احد بيني وبين الموت .

* * *

في الترام .. رايت مشهدا قاسياً ..

رأيت عاشقين ، فتى وفتاة في ميعة الشباب ، واثارت الغيرة بينهما موقفاً حادا ، واحتدم النقاش بينهما الى حد انهما اوشكا على ان يتفقا على الانفصال ، وان يكتبا نهاية لقصة حبهما العميق .

وعز علي ان تتكرر المأساة .. مأساتي .. ويتهدم الامل في قلبين عاشقين ، فتدخلت بينهما احاول ان اهدىء من روعهما .

وزجرني الشاب اكثر من مرة ، ولكنني اصررت على التدخل لاصلاح ذات البين ..

واخيراً .. ضاق بي الشاب ذرعاً ، فنزل في اول محطة ، وفتاته معه .

وواصل الترام سيره ...

ولست اذكر ما حدث بعد ذلك . ولكني فتحت عيني بعد زمن لا ادري مداه ، لاجد نفسي راقداً على سرير في مستشفى ، والى جانبي ممرضة جميلة ملائكية الوجه ، ووجهي ويداي وساقاي كلها ملفوفة في ضمادات ، وجسدي كله رضوض .

كيف حدث هذا ؟

وماذا جاء بي الى هنا ؟

لست ادري ولكنني كنت متأكداً من شيء واحد ، هو

انني كنت مصمما على الانتحار ، فلا بد انني شرعت فيه ان القدر تدخل لانقاذي في اللحظة الاخيرة ..

– كيف انتحرت ؟

هذا هو السؤال الذى همست به لمرضتي الحسناء في صوت ضعيف خافت .

فابتسمت ابتسامة حلوة وقالت :

– استرح .. نم ايها الشاب .

ومددت نحوها يدي، فامسكت بها بكل حنان، واستغرقت في نومة هادئة .

وحينما صحوت بعد ذلك ، وجدت يدي لا تزال في يدها ، وهي جالسة بجانبي .

لقد اشفقت ان تسحب يدها من يدي فأصحو ، فآثرت ان تبقى يدانا متعانقتين .

وحينما صحوت .. عدت اسألها :

– ماذا حدث لي ؟

قالت :

– لقد قفزت من الترام وهو سائر فسقطت سقطة قاسية اصابتك بكل هذه الرضوض .

ومرت بيدها على وجهي في حنان وهي تنظر الي نظرة ملؤها العاطفة الدافئة ، وقالت في صوت كأنه غناء رقيق :

– لم فعلت هذا ؟

وهفا .. اجهدت ذاكرتي في تتبع احـداث الليلة الماضية فتذكرت بقية ما حدث .

انني لم انتحر ..

الذى حدث بالضبط ، بعد ان نزل العاشقان من الترام ، وواصل الترام سيره ، اصررت على اصلاح ذات البين بين العاشقين فقفزت من الترام .. فأصابني ما جاء بي الى هذا المكان .

* * *

الايام التي قضيتها في المستشفى كانت من اسعد ايام الحياة .

هذه الانسانة الرقيقة الحانية ، التي بجانبي ، ملأت كل فراغ قلبي بحنانها الدافىء .

كنت اتطلع الى وجهها الملائكي ، فأجدها اجمل من فتاتي التي ماتت روحها ..

ثم اتملى حنانها واشفاقها علي ، فاحس انها ارق امرأة في الوجود .. حتى لقد اصبحت اتمنى ان ابقى في هـذا السرير ، الى جانبها .. الى الابد .

وقبل ان اغادر المستشفى ، كانت قصة الحب الثانية في حياتي قد بدات ..

وخرجت من المستشفى ، لاسعد بحب اجمل من الحب الذى تركته ورائي في القاهرة .

ثم مرت الايام ...

وذهب الحب الثاني كما ذهب الاول ، وكما ذهب الثالث والرابع والخامس ... الخ ..

وعرفت ما لم اكن اعرف ..

عرفت ان الحياة حلوة حقاً .. حتى في امر ايامها مذاقاً .. وان الانتحار ليس الا غفلة تخطر ببال المرء في لحظات ضعف قصيرة ، لو استطاع ان يتغلب عليها ، فهذه الارادة ، وهذه هي الرجولة ، وهذا هو النجاح .

وبعد هذه الحادثة .. عبرت بي حوادث واحداث اجل واخطر .

عبرت بي عشرات من الازمات العاطفية .. اجتزتها جميعا لانني عرفت انه ليس في العالم امراة تستحق ان ينتحر من اجلها رجل .. وما على المرء لا ان يملأ فراغ العاطفة القديمة بعاطفة جديدة .

وعبرت بي عشرات من الازمات النفسية ، والازمات

المالية ، التى وصلت بي احيانا الى الحضيض .. الحضيض الذى لم اكن املك فيه ثمن الرغيف .

وفي جميع هذه الازمات.. فكرت في الف مخرج ومخرج... وكان المخرج الوحيد الذى لم يخطر ببالي لحظة واحدة، هو الانتحار!

اما المخرج الاول الذى كان يراودني دائماً في كل ازمة ، فهو العمل ... الكفاح ... النجاح !



الفصل الثاني عشر

مغامرة غرامية جعلت مني شهاما ؟!

كل شيء في هذه الحياة له ثمن ؟ الهواء الذي نشمه .. ندفع ثمنه لطبيب الانف عندما نصاب بالزكام .. المجد الذي نسعى اليه .. يتطلب ثمناً باهظا ارقامه من حبات العرق، وايام الجوع .. وليالي التشرد .. حتى الحب .. له في هذه الدنيا ثمن ؟ اسعاره تتفاوت حسب مركزك وشخصيتك .. وقد تكون مفلساً ، ومع هذا تدخل في الحب رغم « جيبك » ، وعليك ان تدفع الثمن .. والثمن هنا مرتفع جداً ؟ انا شخصياً دخلت هذا المزاد يوما ما .. دخلته مفلسا ، وبلا مركز ؟ يومها ادخلت يدي في جيبي لتخرج بيضاء من غير نقود . ويومها ايضا تلفت حولي فوجدت اميراً يزنونه بالذهب .. وامرأة تعيش في قلوب الاثرياء .. ومع ذلك فقد انتصرت .. انتصرت في وقت كنت اتعاطى فيه الحب نهاراً ... واستنشق الاثير ليلا .

ودخلت المعركة .. دخلتها وانا اعرف مقدما انها غير

متكافئة ، وانني قد لا اخسر الجولة فحسب .. وانما قد يشطب اسمي من قائمة الاحياء .

وذكرى هذه التجربة ، ترجع بذهني الى الوراء اكثر من اربعين عاما ، كنت طالبا بميلانو . عواطفي لا تزال مشدودة الى الحبيب والاصدقاء والاهل الذين نأيت عنهم ، وحياتي في ميلانو تسير بحذر ، وتتطلع هناك الى معالم الحياة في حرص . التمثيل هو العالم الذي اتنفس تجاربه الاولى ... واهدافي كلها مركزة في ان احصل على الشهادة .

العام الاول يمر بسلام ، واجتهاد ، ونجاح .. ويأتي الصيف ، فاستشعر الراحة والهدوء ، والطمأنينة .. واشد رحلي الى ضاحية قريبة من ميلانو لأقيم هناك بفندق « ريجينا الشهير » .

وفي فندق ريجينا انقلب هدوئي رأساً على عقب :

كانت هي السبب ..

رأيتها لاول مرة في الفندق .. فتبعثرت افكاري ، واختل توازني ... ونسيت انني قادم من بعيد لاحصل على الشهادة . كانت تسير دائماً برفقة امير من امراء ميلانو .. تخرج معه ، وتدخل معه .. وينامان معاً في الجناح الذي انزل به من الفندق .

ووجدت مشاعري تنساق رغما عني الى هذه المرأة التي تحيط

نفسها بالغموض ، وليس من علاقة فيها سوى هذا الامير الذي لا يكاد يفترق عنها لحظة واحدة .

هل هو زوجها ؟ هل هو عشيقها ؟.

وراح الجنون الذي عصف بي عند رؤيتها للمرة الاولى يرسم في رأسي عشرات الاستفهامات، تحولت كلها الى اجابات حصلت عليها من بعض خدم الفندق .. وعرفت ان هذه السيدة اسمها « ف . ف » وانها اشهر ممثلة في ايطاليا .. وان هذا الامير الذي يتبعها كالظل هو عشيقها ... و ... و ... وارتحت .؟؟

كان قلبي يبحث لنفسه عن مكان وراء صدر هذه المرأة .. والحاجز الذي امام صدرها هو هذا الامير .. اقصد لقبه وذهبه ؟ وانا .. لا امير ولا يحزنون .. مجرد طالب غريب يعيش يومه .. اما غده ففي قبضة الغيب .

ومع هذا رحت اتلمس الفرص والمناسبات لاحمل القفاز ، وابارز الامير الثري في ساحة قلب هذه الحسناء .

وجاءت الفرصة ...

مغامرة

اعلنت ادارة الفندق عن حفل يقام فيه بعد اسبوع . والحفل يضم كبار الفنانين في ايطاليا . ورحت اعد المدة .. كان علي ان

اتخذ من مناسبة الحفل قنطرة اعبر الطريق عليها الى قلب السيدة التي اطارت النوم من عيني .

وبدأ الحفـل .. وفوجيء رواد المسرح الكبير في الفندق بشاب يقف على خشبة المسرح . كنت انا ذلك الشاب . قدمت نفسي على انني ممثل مشهور من مصر .. وطلبت منهم ان يتيحوا الفرصة لزميـل مصري يريـد ان يقلد فنانهم الايطالي المعروف « زاكوني » .

ساد القاعة وجوم اخرس .. واطبق الصمت على الافواه .. وتسكع الهدوء في ارجاء الصالة العريضة كأنهم في مأتم .. بينما رحت اتحرك فوق المسرح ، وعيناي تبحثان عن صاحبة القلب الذى اودعته قبضة الامير .. ووجدتهـا ! كانت هي الاخرى واجمة ، ساكنة ، هـادئة !! واندمجت انا .. كان المفروض ان اقلد « زاووني » في احد ادواره الدرامية .. ولا ادرى لمـاذا قلبت المشهد الى كوميديا .. كان هذا هو الترتيب الذهني للدور الذى اردت ان العبه .

وضجت القاعة بالضحك .. وتمايلت الرؤوس والاكتاف .. واستحـال الجو الى لهب متطـاير من الصخب والضجيج .. ونجحت التجربة !

تقبلت تهاني الفنانين جميعا .. ومن بينهم صاحبة القلب المنشود ..

وحدث اكثر مما توقعت .. لقد دعتني لتناول الغذاء في اليوم التالي .

تناولنا الغذاء منفردين .. وانهزم الامير عند الجولة الاولى امام « سلطان » الفلس والمقدرة !

ثم تعدد لقائي بالسيدة « ف . ف » واصبحت كل شيء في حياتها ، وفتنتها ، وانوثتها .. وبدأت اعرف عنها وجوهـا كثيرة وخطيرة .

اذكر انه في الليالي الاولى من صلتي بها كانت تنتابها حالات نفسية رهيبة ، تقع خلالها فريسة لمرض عصبي ، فتثور وتصرخ وتلتمع عيناها ببريق مخيف مفزع .. ثم تمتد يداها – في زحمة الهياج العصبي – الى زجاجة بها محلول ابيض ، وتغمس بيدها المرتعشة قطعة من القطن لا تلبث ان ترتد سريعة الى انفها .. فتشم ، وتشم .. ويتسلل الهدوء رويداً الى ثورتها .. فتعود الى حالتها الطبيعية ، وتكررت النوبة في الليالي التالية .. وتكرر معها تقديمي لها قطعة القطن المبللة بالسائل الابيض .. حتى انتقلت عدواه الى انفي .. ورحت بعدها اقدم قطعة لها .. وقطعة لي !

٩

كنت احس احساسا غريبا عندما تغزو رائحة « الاتير » خياشيمي ، فاستلقي على ظهري – رغما عني – حواسي كلها متيقظة ، اطرافي في برودة الثلج ، درجة حرارتي تهبط الى مستوى يحيلني الى جثة هامدة لا تستطيع حراكا . كنت اظل هكذا لاكثر من ساعتين فاقد المقاومة ، ولو امتدت الى جسدي السنة نيران ملتهبة .

كنا نتعاطى الحب بالنهار . ونشم الاتير ليلا !

ثلاثة شهور كاملة .. أحسست خلالها انهيارا يجتاح مفاصلي ، وضيقاً يعشش في صدري ، واصبحت حياتي قطاعا من الشك الدائم .. اكره كل ما حولي ومن حولي . رغبتي في العمل تخنقها حبال متينة من خمول نشيط . كنت اتمنى لو اقضي العمر كله في استرخاء دائم يعيد الى اعصابي المنهارة هدوءها وسكينتها..

ثلاثة شهور عشتها في الجحيم الذي دخلت اليه من قلب الفنانة المعروفة .. ووجدتني انحدر الى الهاوية في سرعة البرق . وكان علي ان استيقظ من غفوة المغامرة .. واستعيد آمالي ورغباتي في الحصول على شهادة التمثيل . وأقفز من اقرب نافذة لاهرب من حياة الفنانة .. اقصد ادمان الاتير الملعون !

وفضلت ان اخرج من الباب .. يجب ان اكون نبيلا بالقدر

الذي تسمح به شخصيتي ومركزي المزعوم .

... وهربت !

الليلة من ليالي شهر يناير الباردة .. العواصف تجتاح المدينة كأنها واغل جامح .. وميلانو تستحم في بحر من الثلج المنهمر.. وكانت ليلة عيد ميلاد « ف . ف » !

رواد الفندق لا يستشعرون العواصف والثلوج .. كانوا غارقين لاذانهم في المناسبة الهائلة الضخمة ، كلهم يحمل الهدايا الثمينة ، وكلهم ينتظر اللحظات القصيرة التي تلتقي فيها ايديهم بيديها. انا وحدي غريب وسط هذا الخليط العجيب من اصحاب الهدايا. تمنيت ساعتها لو اني املك هدية امنحها اياها عند اللحظة الفاصلة بين ماض قصير عشته معها .. ومستقبل عريض اهدف الى تحقيقه بعيداً عن دائرتها الخانقة !

وبحثت لقدمي من مكان وسط هذه المخلوقات المتلاصقة ، واخذت طريقي الى باب الفندق ، متسللا الى الخارج وسط العواصف المجنونة .. حتى وصلت محطة القطار.. ومنها غادرت المدينة الى روما ..

وفي روما حاولت العثور على عمل.. فلم اوفق .. ووجدتني امام اظافر قاسية رهيبة .. اظافر الجوع .. !

غادرت روما الى جنواجريا وراء لقمة العيش.. ووجدتها.. وجدتها في مطعم يطلب جرسونا يجيد عدة لغات .. وهكذا . انهال البقجيش على جيبي. وتوطدت علاقاتي بالسواح ، وأصبحت امارس السعادة في ظل الهرب من « ف . ف » والاتيز الذي كاد يقتلني ويقضي على مستقبلي .

غير ان الفراغ الذي خلفته « ف . ف » داخل قلبي.. راح يبحث عن الامتــــلاء .. ولم يلهث طويلا في البحث عن اليف آخر . فقد وجده في ابنة صاحب المطعم .. وتساقينا الهوى عذريا .. بريئاً طاهراً .

حتى اذا انتهت مدة دراستي بالمعهد.. حصلت على الشهادة، وعدت الى مصر بقلب سليم مائة بالمائة .

على ان ذكريات ميلانو لم تنته بعد .

ان لها ذيولا وحواشي وامتداداً عشته في لحظة خاطفة بعد عشر سنوات من قدومي الى القاهرة . فقد سافرت الى ايطاليا بعد عشر سنوات .. كنت قد وضعت قدمي على مسرح الامل الفني الذي حققته بجهودي ومواهبي ، واستقرت بي الحيـــاة فتزوجت ، ووجدت في حياتي كرمـــا يمنحني فرصة الزيارة لمسارح اوربا . ذهبت اول ما ذهبت الى ميلانو . كانت معي

زوجتي طبعاً .. وهناك دخلت اول مسرح وضعته في برنامج زيارتي . وانفرج الستار عن الفصل الاول ، ودوى التصفيق في القاعة الكبيرة .. وفوجئت بالفنانة « ف . ف » تلعب الدور الاول في المسرحية . !

لا ادري لماذا خشيت لقاء هذه السيدة رغم السنوات الطوال التي مرت على فراقنا . وخشيت أيضاً ان تلمحني فتفرض علي لقاء لا احب ان يتم .. ووقع المحظور .. رأيتها تغرس نظراتها في وجهي وهي مندمجة في دورها .. وعبثاً حاول الدور ان يحول نظراتها عني .. فلم اجد مفراً من التسلل ، وخرجنا قبل ان ينتهي الفصل الاول .

مسرح الحب .. العذري !

وسافرنا الى جنوا ..

الانسان مشدود بطبيعته الى مواطن ذكرياته ..

لقد ساقتني قدماي الى المطعم الذي عملت فيه فترة من شبابي، ومارست بين مقاعده اول دروس الحب العفيف النظيف.

دخلنا المطعم ...

ولمحت الفتاة التي تجلس على « الكيس » كانت هي صاحبة القلب .. ورأيت بطنها وقد انتفخ كما لو كانت في شهرها الاخير

تتهيأ الوضع ..

وحينها لمحنا ابوها . اقترب مني وعيناه تتفرسان في وجهي وعلى شفتيه اكثر من علامة دهشة واستغراب .

وتجاهلت نظراته وفضوله .. قلت له : «لماذا تتأملني هكذا أيها السيد ؟ » فأجابني : « كان عندي شاباً يعمل هنا يشبهك تماماً » !

فلما افهمته انني فنان مصري يزور جنوا لأول مرة.. اعتذر في أدب .. وودعني بعد الغداء في حياء جم ..

على انني لم اكد اخطوا بعيداً عن باب المطعم . حتى تلفت ورائي ، القي على الفتاة آخر نظرة .. وشد ما آلمني ان اشهد وراء هدبيها شبكة بلورية من الدموع .. وفي عينيها ظلال مز حزن دفين صامت ..

وتمضي الايام ..

ونغرق في زحمة الحياة .. ونطفو.. ثم نغرق مرة اخرى !.

ومع هذا .. لا تمر بذاكرتي مناسبة مرتبطة بايطاليا .. حتى اتذكر على الفور قصة « الاتير » الذى كاد يقضي علي ..والقلب الذي ختم حياته بدمعة صامتة سفحها على اديم الخد الحزين ..

مربي عمره ١٤ سنة !

وعدت الى القاهرة واسست فرقة رمسيس التي كانت دعامة النهضة المسرحية العربية في العالم العربي كله ، من نجاح الى نجاح وكان اول دور لي في فرقتي دور الكاردينال في المسرحية المعروفة باسم « كرسي الاعتراف » التي افتتحت بها مسرحي .

ولكن لم يك هذا اول دور مثلته في حياتي . فقد كان اول دور مثلته وانا في الرابعة عشرة ، كنت اذ ذاك تلميذاً بمدرسة السعيدية . . وقد ذهبت ذات ليلة من عام ١٩١٤ الى منزل صديق الطفولة الاستاذ محمد كريم لاسهر سهرة رمضانية مما كان يعده لنا ، وكان منزله في شارع الهدارة بعابدين ، وقد وجدت عند كريم اناساً كثيرين وقدمني الى رجل وسيم هو الاستاذ حسن شريف قائلاً له :

– هذا الشاب ممثل عظيم ينتظره مستقبل زاهر . .

وعرفت ان السر في وجود هذا العدد الكبير من الناس عند

كريم ان حسن شريف عنده فرقة من الممثلين الهواة، وانه بسبيل تقديم حفلة ، ولهذا جاؤا الى بيت كريم الذي يحتوي على فناء واسع ليجروا فيه البروفات ، وكانت المسرحية التي يستعدون لها هي مسرحية « شرف الاسرة » وقد وقفت في تلك الليلة انظر باعجاب لهؤلاء الممثلين الذين يتحركون في قدرة وموهبة ويتحدثون في طلاقة ووضوح، وكان حسن شريف يخرج المسرحية وهو يتحلى بسعة الصدر ودقة الفهم، ولم اكن قد وقفت على المسرح غير مرة في حفلة مدرسية ، وكان حب الفن يسري في دمي، ولهذا جعلت اتخيل نفسي واحداً من هؤلاء الذين يتحركون ويمثلون . .

ونادى احد مساعدي حسن الشريف على المرحوم داود عصمت وكان ممثلاً هاويا له في المسرحية دور هو دور مربي الاسرة . . . ولكن زملاءه قالوا له انه لم يجيء في تلك الليلة، والغالب انه لن يجيء لأنه مريض ، وغضب حسن شريف لهذا الطارىء الذي سيعطله ، وكان موعد الحفلة قريبا فوقف حسن شريف حائراً كيف يخرج من هذا المأزق ، وهنا انتحى به محمد كريم ناحيه وراحا يتحدثان وحسن شريف ينظر الي من اعلى الى اسفل . . ومن اسفل الى اعلى وكأنما يمتحن قامتي لدور المربي الذى يحتاج لرجل في الستين من عمره . .

وبعد دقائق قال لي حسن شريف :

– استعد يايوسف حتى تقوم بدور المربي بدلاً من داود عصمت انقل الدور على بضعة اوراق واحفظه جيداً، وعد في الغد لتمثله وسأشرح انا لك كيف تمثل الدور .

ولم اصدق أذني وانا اسمع حسن شريف .. وعدت الى البيت ولم انم بعد مدفع الرفع وانما عكفت على حفظ دوري حتى الصباح

وعلمني حسن شريف كيف اقوم بدور عجوز في الستين وانا في الرابعة عشرة ، وسره انني فهمت بسرعة ما يريد ان أؤديه وبدا زملائي ينظرون الي نظرة طيبة وانا الذى استطعت ان اقوم بدور داود عصمت . .

وكان يوم الحفلة يقترب وانا اعد نفسي لهذا اليوم الجليل في حياتي ، يوم اقف على مسرح عام ، امام جمهور كبير، وقد حدث ان الجمعية الخيرية الاسلامية كانت تريد اقامة حفلتها السنوية على على مسرح دار التمثيل العربي، ولما علمت بأن فرقة حسن شريف ستقدم حفلة على المسرح في اليوم الذى تريده الجمعية بالذات، اتجه مندوبون من الجمعية الى حسن شريف وطلبوا اليه ان يبيع لهم الحفلة ووافق حسن حسن شريف على ذلك . .

وجاء يخبرنا بان حفلتنا ستكون حفلة عظيمة لأن الجمعية الخيرية

الاسلامية قد اشترتها وهذا يعني ان علية القوم من المتبرعين لهذه الجمعية سيشاهدون المسرحية . .

وزاد هذا حرصنا على النجاح . وفي ليلة الحفلة رفع الستار عن جماعة من الهواة تريد ان ان تصل الى النصر بكل ثمن ، واستطاع حسن شريف ان يقود فرقتنا قيادة سليمة رشيدة ، وكان الستار يهبط على كل فصل ليدوي في ارجاء الصالة تصفيق هائل ، كل ممثل منا يعتقد ان التصفيق موجه له .

وكان نجاحاً ساحقاً ذلك الذي احرزناه في تلك الليلة ، وقد كنت ارتعد خوفاً حينما عدت الى البيت ، فقد تأخرت كثيراً وكنت اخشى ثورة ابي وغضبته ، ولكن وجدت ابي لم يصل للبيت فذهبت الى حجرتي تواً ، وقبل ان اخلع ملابسي سمعت طرقات على الباب فنمت في فراشي بكامل ثيابي !

ولم استيقظ الا في الصباح . . لأنني نمت بكل ثيابي حالما وضعت رأسي على الوسادة . .

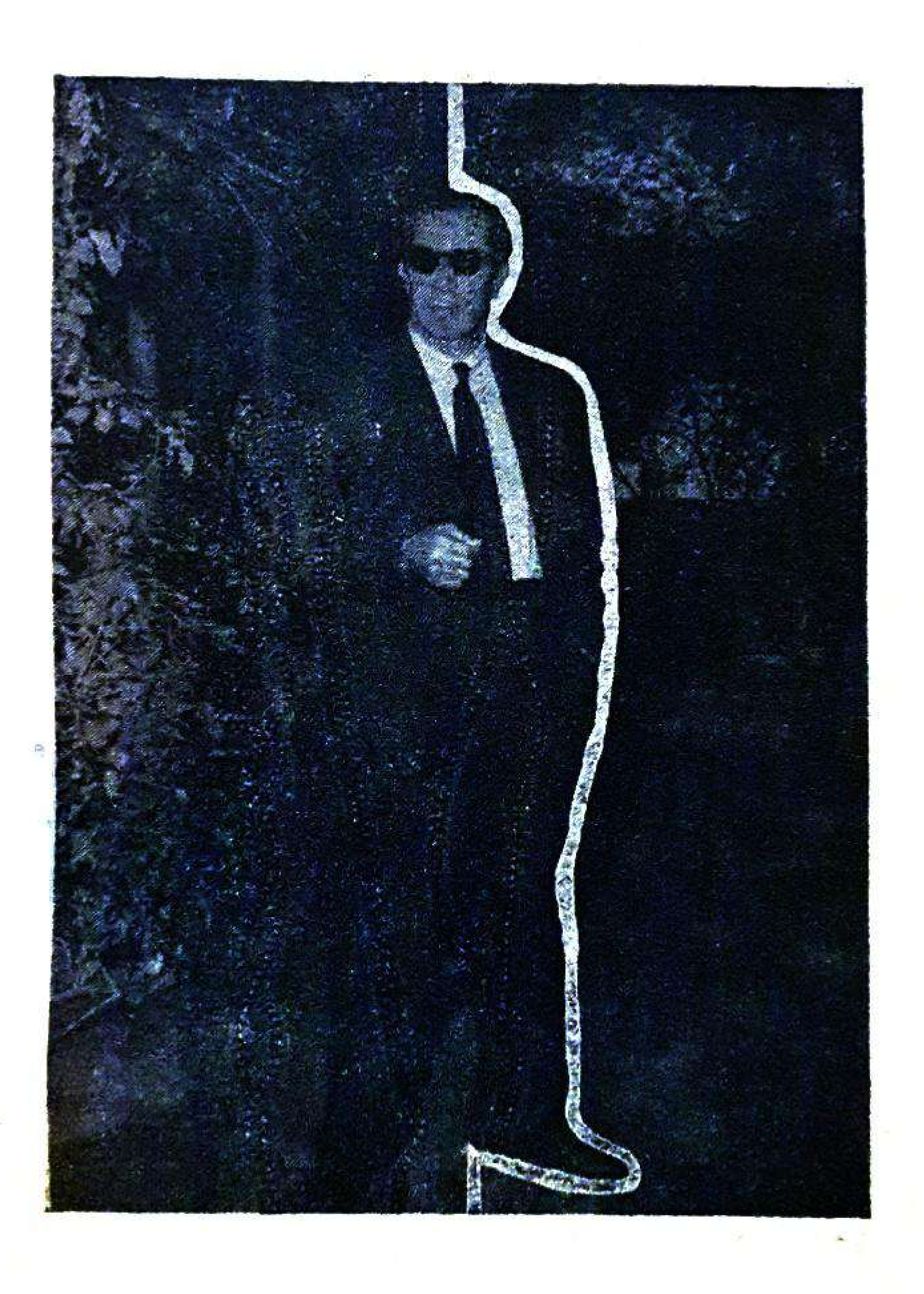
ولم يكتشف ابي ماحدث . .

وانما بعد الظهيرة ، جلس يحدثني عن مسرحية شرف الاسرة التي شاهدها امس على مسرح دار التمثيل العربي ، كان من عادته ان يحدثني عن كل مسرحية يراها لأنه كان يعرف انني شغوف

بحديث المسرح، وقال لي انه اعجب اكثر ما اعجب بالممثل الذي قام بدور المربي . .

وقفزت من عـلى المقعد لأقول له أنني ذلك الممثل ، ولكنني تذكرت في اللحظة الأخيرة وانا افتح فمي ان هذا سيعني تشديد الرقابة علي ومنعي من الخروج من البيت بعد الاصيل .. وعدت اقفل فمي ثانية وفي عيني خيبة وحسرة !

وكان دور المربي في الستين من عمره الذي قمت به وانا في الرابعة عشرة من عمري من اعز ادواري الى نفسي ، لأنه الاول لأنه البكر ، وكل بكر عزيز على صاحبه . .



الفصل الرابع عشر

الأميرة التي رقصت . . والاديب الذي ارتبك ؟

سافرت مع فرقتي – فرقة رمسيس آبان مجدها – الى امريكا الجنوبية ، فطفنا بعدد من دولها ، واستقبلتنا الجاليـات العربية فيها بترحاب وحماس أشعرنا أننا بين اهلنا واصدقائنا ، وقفلت الفرقة عائدة الى مصر، ولكنني ومع عدد من الفنانين والفنانات هم عزيزة امير وفتوح نشاطي وادمون تويما وغيرهم ذهبنا الى باريس لنقضي هناك بضعة ايام للاستجمام ونشاهد مفاتن باريس . .

وفوجئت بعدد من المصريين في باريس وقد جاؤا فيما يشبه المظاهرة الى الفندق الذي اقيم فيه ، وطلبوا الي ان اقدم احدى مسرحيات الفرقة ،فحاولت ان اعتذر لهم بأن اكثر افراد الفرقة قد رحلوا الى القاهرة ، وانني جئت الى باريس للنزهة لا للعمل، فأصروا على مطلبهم . . والحقيقة ان هذا الأكبار اخجلني ، فقلت لهم .

– اذن سنقدم لكم مسرحية بعد ثلاثة ايام !

وذهبت الى اصدقائي من رجال المسرح الفرنسي اتلمس عندهم مخرجاً فقد كنا بحاجة الى مسرح نقدم عليه مسرحيتنا ، ومن حسن الحظ وجدت احد مسارح باريس العظيمة شاغراً ، وهو مسرح ادوارد السابع .

وكان عدد افراد الفرقة التي معي غير كاف لتمثيل مسرحية متعددة الاشخاص ، ولهذا اخترت مسرحية « انتقام المهراجا » لأن عدد الاشخاص فيها اقل نسبة من عددهم في غيرها من المسرحيات . . . ووزعت الادوار على اشخاص لم يسبق لهم ان وقفوا على المسرح ، ورحت القنهم كيف يتحركون وينطقون وينفعلون ، وكان هؤلاء من اداريي المسرح ، ولهذا احتجنا الى أناس آخرين يعاونوننا في عملنا .

وسمعت بحاجتنا هذه اميرة هندية كانت تقيم في باريس ، وهي واحدة ممن عشقوا القاهرة ، وكان لها فيها مع زوجها ذكريات رائعة ، وقد خاطبتني بالتلفون ، وعرضت ان تقدم الي كل مساعدة اطلبها منها ، فقلت لها ضاحكا :

– انني لا استطيع ان اطلب منك شيئاً ، صحيح اننا ينقصنا ممثلة تقوم برقصة هندية ، ولكني لا استطيع ان اجرؤ على الطمع هذا .

– كيف هذا ؟ هل انت الذي طلبت مساعدتي ام انا التي تقدمت بها ؟

– هل توافقين سموك على اداء الرقصة ؟ .

– طبعاً اوافق . . ولك ان تقبلني اذا رايتني صالحة للدور او ترفضني بلا حرج اذا كنت غير صالحة . . .

– عفواً يا اميرتي الفنانه . . .

وجاءت الاميرة الهندية، ورقصت امامنا رقصتها التي يتطلبها دورها في المسرحية فكانت رائعة حتما .

شيء واحد لم اجد شخصاً يقوم بعمله . . هو عملية الاكسسوار ، وهي عملية تزويد المسرح بما يلزم له من حاجات صغيرة، كزهريه او مصباح ، او اطباق ، او غير ذلك مما لا تحمله الفرقة عادة في صناديق الملابس . . . وتحدثت الى بعض الاصدقاء المصريين في هذا الشأن ، فقالوا انهم يعرفون مصرياً يقيم في باريس رغم انفه لأن الملك فؤاد طرده من مصر ، على اثر زجل نشره عنه .

وطلبت ان يحضروه لنا في المسرح على الفور ، وجاء ، ومن نظرتي الاولى لثوبه ادركني الاشفاق به ، ورحت القنه كيف يقوم بعمله ، وما مقدار حاجتنا اليه . . وافهمته ايضاً متى يقدم لنا هذا الشيء او ذاك من الاكسسوار . . واشرت الى اسطوانة سجلت

عليها موسيقى الرقصة الهندية التي ستؤديها الاميرة الفنانة . . وقلت له ان يضعها على الفونوغراف ويديرها عندما تدخل الاميرة لترقص .

ويوم اجرينا البروفه النهائية كان ملبياً لكل ما يطلب اليه ، وبدا لي في مهارته وكأنه عامل اكسسوار منذ عشرين عاما .

وفي ليلة الافتتاح اجتمع في المسرح الضخم جمهور كبير ، اساطين الفن الفرنسي ، وكل المصريين في باريس ، وعدد من كبار رجال وسيدات الاسر الفرنسية العريقة التي تعتبر المسرح جزءاً من لياليها . . . وملأ السرور قلبي وانا انظر من فرجة الستارة فأرى المسرح غاصا بكل هؤلاء . . .

ورفعت الستارة ، ومضينا نؤدي ادوارنا كخير ما يكون الاداء الى ان وصلنا لموقف الرقصة الهندية، فأشرت للأديب بأن يضع الاسطوانة الهندية على الفونوغراف ، فهرول ليفعل،ولكنه في عجلة سقطت الاسطوانة الهندية من يده وكسرت ، وراحت الاميرة ترقص وهي تتلفت حواليها ، اما انا فقد استبد بي الغيظ فانفجرت باكياً . .

والحمد لله ان الجمهور لم يلاحظ ان هناك موسيقى ، ولم يدر شيئاً مما حدث وراء الكواليس . . .

وتمر الايام ... وتتوالى الاعوام، ثم اقابل الاديب في القاهرة وقد لمع نجمه وسطع ، وصار اعظم زجال في مصر ، وصار هو بنفسه ، امير الادب الشعبي . .

أتعرفون من هو ؟

انه بيرم التونسي . . .

ومعذرة له اذا كنت أفشيت من ماضيه صفحة له ان يفخر بها . . .

١٠

الفصل الخامس عشر

كان عندي محطة اذاعة أهلية ..

وكان مقر محطتي ، محطة مصر الملكية ، غرفة في مكتب شقيقي اسماعيل وهبي المحامي في شارع الجيش ، وكان المطربون والمطربات يتمنون ان يذيعوا أغانيهم منها ولو بالمجان ، وكان الموسيقيون والادباء يتسابقون للاذاعة من المحطة التي اقامها مهندس ايطالي مغمور ، ولم يكن لها في يوم من الايام برنامج معد ولا مذيعون مختصون ، بل كانت برامجها ارتجالية تبعا للظروف ، وعلى الرغم من هذا لم تكن هذه البرامج تخلو من الحوادث الطريفة .

كان الخلاف الناشب بين عزيز عثمان وابراهيم عثمان على تركة والدهما المرحوم محمد عثمان الغنية خلافاً كبيراً ، وكان ابراهيم يعتقد ان عزيز يسيء الى ذكرى والده عنـدما يغني اغانيه من محطتنا وحدث ذات مرة أن كان الجو مضطرباً واثر هذا على صوت عزيز فوصل الى آذان المستمعين مشوها مضطربا ، وثار ابراهيم عثمان وجاء في اليوم التالي واقتحم الاستديو اليتيم في المحطة

ومعه تخت موسيقي كامل ، وغنى نفس الاغنية امام الميكرفون ، وبعد ان انتهى من الغناء ، راح ينصح شقيقه عزيز عثمان – على الهواء – ويستحلفه برحمة والده أن يكف عن غناء أغاني الوالد الراحل احتراماً لذكراه ، وفي هذا الوقت كان عزيز قد حضر ثائراً الى المحطة وهو يمسك بيده عصا غليظة ، واقتحم الاستديو وانهال على شقيقه ضرباً ، وبالطبع نقل الميكرفون « الخناقة » بكل تفاصيلها الى المستمعين ، حتى الشتائم والفاظ السباب التي تبادلها الشقيقان دون وعي .

وكان المرحوم مصطفى رضا الذي كان من اكبر عازفي القانون في مصر من نجوم محطة مصر هذه ، كان يذيع من المحطة مجانا ، وكان اذا اعجبته حركة موسيقية أتاها وهو امام الميكرفون صاح قائلاً : « الله . الله يا سي مصطفى » كان يطيب لنفسه ولا يكتم اعجابه بفنه امام الميكرفون .

أما المرحوم العقاد الكبير ، وكان من كبار العازفين على القانون ، فقد كان أغلب افراد تخته من اولاده العازفين ايضاً ، وكان يحلو له ان يقدمهم بعد العزف الى المستمعين قائلاً : « النبي حارسه ابني اسماعيل بيضرب على العود .

.. والنبي حارسه ابني محمد بيضرب كمنجه » .

ويمضي فيقدم بقية أولاده هكذا واحدا واحدا . وكان اولاد العقاد يحيونه اثناء العزف امام الميكرفون صائحين : « بابا يا سيد الكل . يا سيد القانون يا بويا » . .

أما المرحوم المطرب الشيخ صبح ، فقد كان صاحب صوت قوي وكان يجيد العزف على الناي والعود والبيانو ، وكان قد حدث بينه وبين احدى المحطات الاهلية - واسمها محطة فاروق - خلاف كبير فجاء الى محطة مصر ليذيع منها ، وكان كلما انتهى من اغنيته صاح يقول : يا سلام يا سيدنا الشيخ ، سامعين يا بتوع محطة فاروق ، ينعل ... « ثم ينطلق يسب المحطة واسمها . وجاء البوليس وقبض عليه ذات يوم ، ولم يفرجوا عنه الا بعد ان تعهد بعدم سب المحطة لانها تحمل اسم « فاروق » . وكان الشيخ صبح يحرص على ان يقدم نفسه للمستمعين قائلاً : « انا الشيخ صبح . . أنا سيد المطربين ، واللي موش عاجبه يشرب من البحر » . .

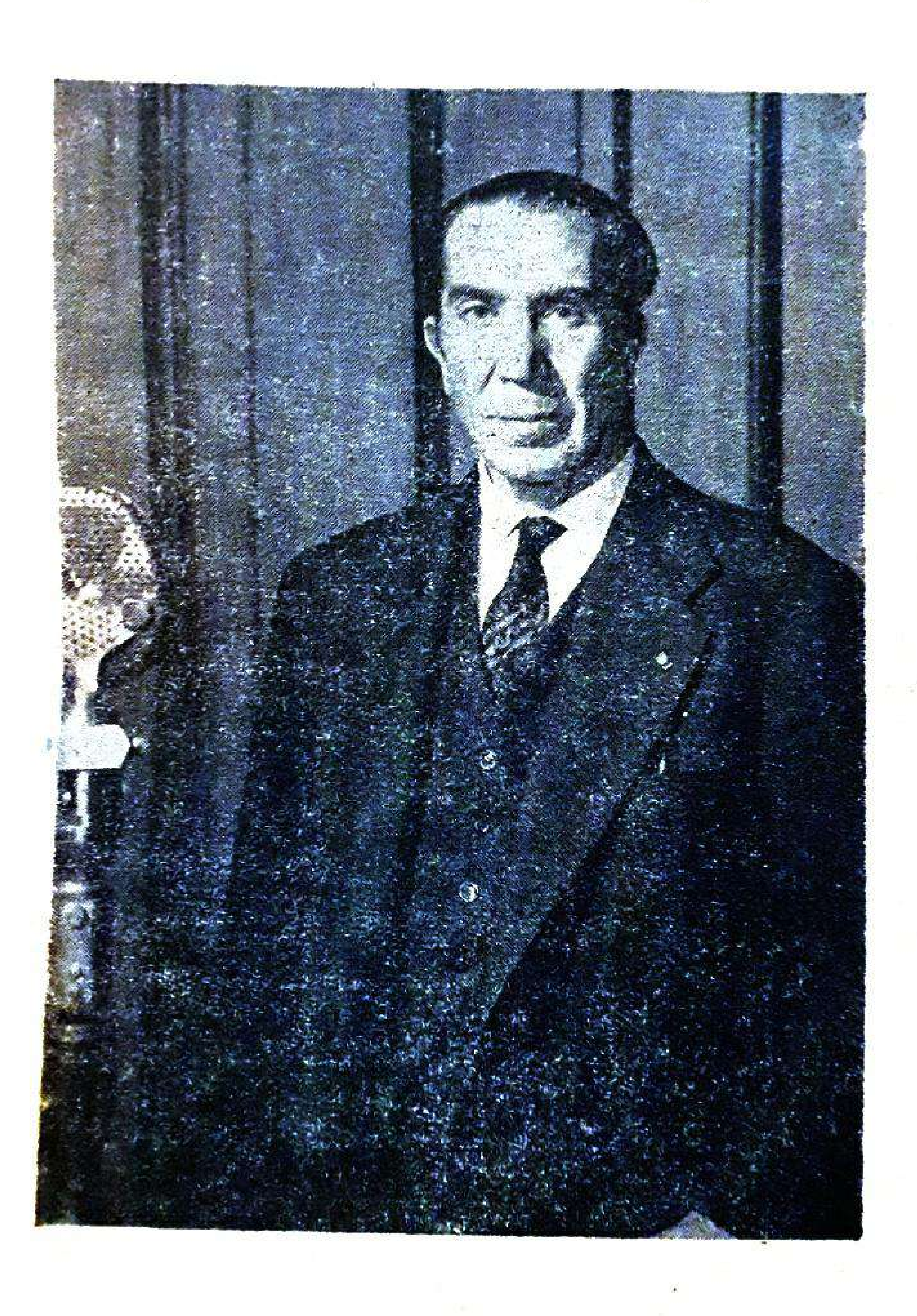
وكان من المطربين الذين يغنون في المحطة فريد الاطرش ، وكان له أيامها معجبون كثيرون رغم صغر سنه ، وكنا نذيع نتيجة الشهادة الابتدائية بالارقام ونجح فريد الاطرش في امتحان الشهادة الابتدائية ، فاذاع المذيع رقم جلوسه ووجه اليه الحديث قائلا : « مبروك يا فريد ان شاء الله راح تغني الليلة حاجة

كويسة بالمناسبة دي » ..

وكانت المحطة بعد ان اطلق عليها اسم محطة رمسيس قد أنشئت في مدينة رمسيس بالزمالك ، وكان الى جوارها مقام لولي يسمونه « أبو فانوس »،وقطع المذيع في احدى الليالي اذاعة البرنامج وصرخ قائلاً « الحقوني يا مستمعين. ابوفانوس طلع لي . » واستقال في اليوم الثاني خوفاً من شبح الشيخ ابو فانوس الذي طارده في الليل .

وخفنا ان تتكرر المأساة ، فسعينا حتى هدمنا مقام الولي رغم احتجاج محبيه وانصاره الذين مضوا يتوعدوننا قائلين بان غضب الولي سيحل على المحطة فيخربها ..

ولم يمض اسبوع على هدمنا لمقام الشيخ أبو فانوس، حتى هجم جيش من الفئران على اسلاك المحطة واعملوا فيها اسنانهم «فقرضوها» واضطرت المحطة بعد هذا الهجوم الى التوقف ، وأقام انصار ولي ابو فانوس حفلا تبادلوا فيه التهاني قائلين ان نقمة ولي الله قد نزلت بالمحطة ، وعدوا هذا الحادث « كرامة » من كرامات الولي ، ومن يومها اختفت محطة رمسيس من الميدان الاذاعي ...



الفصل السادس عشر

ذكريات متناثرة ..

المجـــد الخـــالد

احب ان اهدي هذه القصة الى شباب هذا الجيل ، والى كل الذين يعتقدون ان الفشل نقطة سوداء في صفحة الانسان ...

منذ نحو ربع قرن انتجت فيلماً باسم «المجد الخالد» وقمت فيه بدور البطولة ، كان موضوع الفيلم ان آثار بلدنا كنوز يجب ان نعتز بها ، ولا يجب ألانفرط فيها حتى ولو كلفنا ذلك حياتنا... وكنت اعتقد انني سأصل بهذا الفيلم الى قمة المجد ، وان « المجد الخالد » سيكون من نصيبي ، ولن يكون اسم الفيلم فقط » ! .

وانفقت على الفيلم كل مـا معي من مال ، وفي حفلة العرض الاولى سمعت بأذني شتائم الجمهور الساخطة ، كان الكثيرون منهم يقولون : « أمن اجل قطعة حجر نقضي ثلاث ساعات لان بطل القصة يبحث عنها في اقاصي العالم ؟ ! »

والحقيقة ان هذا الفيلم لو عرض على جمهور اليوم الذي يتمتع

بالوعي الوطني الصادق ، لما صادف هذا الفشل الذي صادفه عند جمهور الأمس ! ..

كانت صدمة قاسية ، كنت اخفف وقعها على نفسي بقولي:
« ان الفيلم قد نجح ، اما الذي سقط فهو الجمهور ... »

وكان يمكن ان يقضي هذا الفشل على حماسي للسينما ، ولكن هذا لم يحدث ... فبعد شهر واحد بدأت كفاحي من جديد ، لم يكن معي مال فبحثت عن ممول ، واهتديت الى قصة فيلم ساعة « التنفيذ » وقمت فيه بدور البطولة وعرضت الفيلم فنجح ، واقالني من عثرتي ، وكان نجاحه معوضاً لفشلي في « المجد الخالد » .. وسرت في طريق النجاح بعد ساعة التنفذ ...

اعتقد لو ان شاباً من شباب اليوم فقد ثروته في ميدان كان ينتظر ان يدر الالوف ، لما حاول ان يطرق باب هذا الميدان مرة ثانية ...

فالى هؤلاء اقدم قصة فشلي الاولى ، وقد حذفت منها انني كنت اضطر للاستدانة رغم ما يقال عني من انني «ابن ذوات» !

وفي سنة ١٩٣٠ ذهبت مع فرقتي المسرحية ، فرقة رمسيس ، في جولة فنية في دول امريكا الجنوبية ، ووصلنا الى «سان باولو»

في البرازيل ، وكنت اعرف ان في هـذه المدينة جالية سورية ولبنانية كبيرة العدد ، فرأيت بصفتي مصرياً ان اقوم بزيارة لهؤلاء الاشقاء في متاجرهم لاحيطهم علماً بوجودنا حتى يقبلوا علينا.

واخذني احد الاولاد الى شارع كبير وجدت في كل متاجره تجاراً يتكلمون العربية ، وتدل مظاهر هذه الحوانيت على ثراء اصحابها الذين رفعوا رأس الشرق عالياً هناك .

وكان اول حانوت دخلته لتاجر لبناني يدعى « يافت » ، رايته يجلس الى مكتب متواضع وعلى رأسه طربوش أحمر ، وقد استقبلني وهو يكتب في دفتر امامه حتى اعتقدت انه تضايق من زيارتي له ... وكان معي احـد افراد الفرقة يحمل كمية من التذاكر ...

وسألني « يافت » عن سبب حضوري للبرازيل فقلت له :

– انها فرقة مصرية للتمثيل ...

– وكم عددكم ؟

– ٣٠ ممثلا ..

– انها نفقات باهظة ..

– فعلا ..

– وماذا تريدون مني ؟

– أن تشرفنا الليلة لتشاهد مسرحيتنا الاولى ..

وهنا نظر للتذاكر في يد زميلي ثم سألني :

– بكم التذكرة ؟

وسقط في يدي ، فقد كان هناك تذاكر صالة وتذاكر « بنوار » ، وتذاكر « لوج » واعتقدت انه يريد ان يناقشني في الاسعار مثلما ناقشني في تكاليف الرحلة وعددنا والغرض من زيارتنا .. وتأهبت لاغادر المكان مستغنياً عن التذكرتين اللتين سيشتريهما ، ولكني سمعته يكرر السؤال ، فذكرت له الاسعار ، فعاد يسألني :

– وكم عدد المقاعد في المسرح كله ؟

فلما ذكرت له العدد نادى كاتباً من عنده ثم قال له :

– احسب ثمن هذه التذاكر .

وقام الكاتب بالعملية الحسابية التي بلغت ٦٠٠ جنيه ... فعاد « يافت » يسألني :

اتكفي بضع حفلات لسد نفقات الرحلة ؟ ..

– نعم ... اذا اقبل علينا النظارة .

فنظر الى الكاتب وقال له :

— احجز التذاكر كلها واعطه ثمنها !

قلت متسائلا وقد تملكتني الدهشة :

— ماذا ؟

— سآخذ كل التذاكر .. ساوزعها على اخواني ، واريحك من عناء المرور عليهم !

وهكذا اشترى لبناني واحد تذاكر المسرح كلها ليكرم شقيقاً مصرياً .. وفي الليالي التالية حذا حذوه تجار آخرون ، ولم يكن مسرحنا في « سان باولو » يخلو فيه مقعداً واحد !

* * *

طردني رجال الاسعاف
وانقذت زميلا في الحلم ؟

علمت ان الصديق محمد فوزي اراد ان يلتقط بعض مشاهد احد افلامه في محطة السكة الحديد، فلم يلق من الجمهور المعاونة التي كان ينتظرها، بل وجد بدلا منها تحديا واستهتارا من بعض الافراد جعله غير مستطيع تصوير ما اراده من مشاهد ، وكلفه قرابة ٥٠٠جنيه ذهبت سدى،بخلاف احتراق اعصابه واعصاب من كان معه من الممثلين ...

وهذا الحادث المؤسف يعيد الى ذاكرتي حادثا مشابهـا في مقدماته وان كان مختلفا في نتائجه .

وذلك انني منذ سنوات اردت تصوير مشهد خارجي لفيلم كنت اخرجه، وأقوم فيه بدور طبيب يقضي بضع سنوات في السجن ثم يخرج منه يائساً ناقما، ولكنه يصادف في طريقه جمعا من الناس يلتفون حول رجل اصيب من جراء سقوطه من الترام ، فتعود اليه مشاعره الانسانية ، ويقتحم صفوف الناس ليسعف الجريح حتى تاتي عربة الاسعاف ، وحينئذ يراه رجـال الاسعاف في ملابسه الرثة وهيأته الزرية فيدفعونـه بعيداً عن المصاب احتقاراً لشأنه ...

وأعددت العدة للمنظر ، فانتقلت مع الممثلين والكومبارس ومعنا سيارة اسعاف لنلتقط المشهد عند شريط الترام في احدى مناطق شارع الهرم ، وكلما بدأنا التصوير اندفع بعض المـارة ووقفوا امام الكاميرا لكي يظهروا في الفيلم ، وعبثـا حاولت اقناعهم ان كل دقيقة تضيع تكلفنا طائلا من المال ... ولكنني كنت كمن يؤذن في مالطا ..

خدعة ..

ورأيت الا مناص من تدبير خدعة توصلني الى هدفي ، وفي ذات يوم اعددنا « الماكياج » للممثل الذي يقوم بدور الشخص

المصاب،وجعلناه يستلقي على شريط الترام متوجعاً من جزوحه الكاذبة ، ثم طلبنا رجال الاسعاف تلفونيا وادعينا كذباً ان الترام بتر ساق رجل .. وانتظرت أنا في سيارتي بملابس التمثيل والماكياج على استعداد للعمل ، كما جلس المصور في سيارة اخرى مخفياً الكاميرا عن افراد الجمهور الذين اخذوا يتجمعون حول الممثل المصاب وهم يعتقدون انه جريح حقا .

وعندما راينا سيارة الاسعاف قادمة من بعيد تدق ناقوسها التقليدي ، نزل المصور وأعد العدة للتصوير ، واندفعت أنا مقتحماً زحام الجمهور حتى وصلت الى الممثل الجريح ، ثم انحنيت عليه وبدأت اقوم بدور الطبيب والكاميرا تعمل بهمة في تصوير المشهد ..

وكما توقعنا ، جاء رجال الاسعاف فافسح الناس لهم طريقاً الى الجريح ، وسألني احدهم :

– انت بتعمل ايه ؟

– انا بأحاول اسعاف المصاب .. انا الدكتور فلان ..

ونظر الي نظرة فيها شك وازدراء ، ثم نحاني احدهم عن الممثل المصاب وقال :

– مالكش دعوة انت روح لحالك .

وصحت انا غير عابىء بدهشة الناس ورجال الاسعاف :

— ستوب !

وتوقفت الكاميرا ، وأخذ الناس ينظرون الي والى المصور في عجب ، بينما اكتشف بعضهم حقيقة شخصيتي ، وكان الغيظ الذي ملأ قلبي من قبل قد « فش » فقلت للمتطلعين من حولي :

— بقالي اسبوع عايز اصور المنظر ده موش عارف.. واديني صورته ووفرت الكومبارس !

النوم = نقود !

في احدى زياراتي لمدينة لندن أردت مشاهـدة احدى المسرحيات في مسرح « البالاديوم » الشهير ولكنني فوجئت عند ذهابي لحجز مكان لي بطوابير طويلة من الناس تقف امام نوافذ بيع التذاكر ، وقد حمل بعضهم الاغطيـة الثقيلة والوسائد . وأدهشني الامر ، فلم اكن اعرف ان للانجليز مثل هـــذا الشغف بالمسرح .

وتحقق لدي انني لن احصل على التذكرة المطلوبة حتى لو انتظرت لليوم التالي ، بسبب طوابير المتفرجين الطويلة واقتربت من رجل كان يحمل على ذراعه بطانيـة من الصوف وبعض

الصحف وسألته :

هل تسمح ان تشتري لي معك تذكرة لحفلة هذا المساء ؟

فقال الرجل وهو يحملق في :

– يبدو انك غريب ..

قلت :

– نعم ..

قال :

– ليس هناك تذاكر لهذا المساء .. ولكن قد تستطيع ان تحصل على تذكرة لحفلة الغد او المساء التالي فالرواية ما زالت جديدة لانها لم تعرض هنا الا منذ ثمانية شهور !

وقلت في دهشة :

– أهكذا تحبون المسرح ؟

– ليس الى هذا الحـد . فأنا على استعداد لان ايسر لك الحصول على تذكرتي مقابل جنيه واحد اضافياً ..

– أتريد ان تربح مني جنيهاً في مقابل ان تعطيني مكانك؟

فقال الرجل في بساطة :

– انه مبلغ تافه .. انني نمت في هذا المكان ليلتين من أجل

الاحتفاظ بهذا المكان لمن يشتريه .

وهكذا في غمرة شغف الانجليز بالمسرح ، يجد بعضهم فرصة لاستغلال اوقات فراغهم ليربحوا من هذا العمل !

اعجب الاحلام ..

احياناً تصدق الاحلام .. وسيان كان ذلـك راجعاً الى الصدفة ام الى حقيقة علمية .. فهناك حلم رأيته مرة في نومي ، فتحقق بحذافيره في اليوم التالي بصورة قد لا يصدقها العقل ..

فقد رأيت – منذ سنوات طوال وايام فرقة رمسيس – فيما يرى النائم ان المرحوم عبد العزيز علي الذي كان يعمل بالفرقة جاءني اثناء البروفة وطلب مني جنيها سلفة ، فأعطيته له .. ثم رأيت « نجفة » كان احد عمال المناظر يثبتها تكاد تسقط فوق رأس عبد العزيز . فصحت به محذراً فتراجع ، فاذا بالنجفة تسقط على مقربة سنتيمتر واحد منه ..

وفي اليوم التالي ذهبت الى المسرح لحضور البروفة ، ولدهشتي جاءني عبد العزيز علي – رحمة الله عليه – وقال لي :

– انا معاييش ولا مليم و ...

وقاطعته :

— عارف .. جاي تستلف جنيه ..

وأجاب عبد العزيز بالايجاب وهو في دهشة .. فلما اعطيته الجنيه تذكرت النجفة ، فصحت بـه دون ان التفت الى شيء وانا ادفعه بيدي بعيداً :

— اوعى النجفة .

وفي هذه اللحظة سقطت النجفة التي كان العمال يرفعونها في سقف المنظر الى جوار عبد العزيز كما رأيتهـا في الحلم تماماً . فكانت احدى الاعاجيب التي لم انسها ولن انساها ابداً !



الفصل الأخير

واختتم مذكراتي بحديث الى القارىء العزيز بمكنون صدري وسأروي له اشياء كثيرة لا يعرفها عني ، واصحح له أخطاء شائعة ، واحدثه عن أقاويل راجت عني ولصقت باسمي على مر الايام .

انني سأكشف للقارىء العزيز في هذا الفصل الاخير من مذكراتي عن حقائق كثيرة ما كان يعرفها سواي أنا وحدي .

* * *

ليس في مصر من يعرف انني في شبابي كنت مصارعاً محترفاً ، أظهر على حلبة المصارعة وأعرض عضلاتي وألعابي على الناس ، لاظفر اخر الليل بقروش اقتصدها لأنفق بها على تحقيق المشروع الذي احلم به ، وهو ان أذهب الى ايطاليا لأتلقى اصول التمثيل .

ذكرت لكم في بداية مذكراتي انه كان في مصر مصارع اسمه عبد الحليم المصري عرفه عشاق المصارعة بطلا يحمل الالقاب الدولية ، وكان ذهنه قد تفتق عن حيلة بارعة ، هي ان يأتي

بالابطال من الخارج، يصارعهم أمام جمهوره ، ويتمكن في النهاية من هزيمتهم شر هزيمة . وكان يتعمد الا يأتي ابداً ببطل يستطيع أن ينال منه أو يسيء اليه أمام الجمهور .

وحدث يوماً أن أعلن في الصحف أنه سينازل « بطل تركيا الجبار » غير ان المصارع التركي لم يظهر واقترب يوم المباراة . وجاءني عبد الحليم المصري ، وعرض علي ان اقوم بدور البطل الغائب أمام الناس .

وقبل العرض فقد كنت في حاجة ماسة الى ما اغراني به عبد الحليم من أجر . وقبل المباراة بقليل وقفت بين الجمهور ، أرطن بكلمات غير مفهومة ، على انها كلمات تركية ، ورحت ألوح بيدي منذراً ومهدداً بأنني سأفترس البطل المصري .

وسمعت الجمهور بأذني وهو يسب ويلعن « بطل تركيا » و « سنسفيل » جدود جدودي ، ولم يكن في مقدوري حتى لا ينكشف المستور !

وكان اتفاقي مع عبد الحليم يقضي بأن أستسلم له من أول « هبدة » ، وليس الاستسلام وحده كافياً ، بل كان علي أيضاً ان ابكي مولولا حتى يشعر الجمهور بمدى الهزيمة التي لحقت بي على يد بطله المصري المشوق .

وأديت دوري « التركي » كما رسمه لي صاحب العمل ، عبد الحليم المصري ! .. ومر اسبوع ، وقرأت في الصحف انه سينازل بطلا ايطاليا ..

وكم كانت دهشتي عندما جاءني يطلب مني ان اكون أنا ايضاً ذلك البطل الايطالي !

ولجأت الى « الماكياج » ، اسبوعاً بعد اسبوع ، وهزمت أمام عبد الحليم المصري اسبوعاً بأسماء ابطال من عشر دول على الاقل .

* * *

وفي ايطاليا كنت اعمل « كومبارس » ممتازاً من الدرجة الاولى ، وكان وقت فراغي يسمح لي بعمل آخر ، فماذا تظن انني عملت ؟

التحقت بالعمل في مدينة للملاهي ، في قسم « النشان » بالبندقية ، وكانوا يطلقون علي في ذلك الوقت اسم « رمسيس بك الفرعوني » وكان الناس يجذبهم الاسم فيقبلون جماعات ويراهنون على اسمي ، واعجب بي صاحب المدينة لما أدره عليه من ربح فرفع اجري حتى كنت اتقاضى ثلاثين قرشا كل ليلة ، وحاول

ان يغريني بترك التمثيل والتفرغ « للنشان » ، ولكنني رفضت.

وكان عملي في المدينة ان « أنشن » مع زملاء لي على « العلامة » الحمراء ، فاذا اصبتها سجلت لنفسي « نقطة » . وكنت أجيد « النشان » وافوز دائماً على زملائي ، ويفوز الجمهور بالتالي في مراهناتهم علي . كنت « فافورية » كأحسن حصان يجري في سباق الخيل .

* * *

ولقد عرفني الناس دائماً رجلا قاسي القلب، لامشاعر انسانية تبدوا في تصرفاتي الجافة التي لا تخضع لأية عاطفة من العواطف.

عرفني الناس هكذا ، ولكنهم عرفوا مظهري ، ولم يعرفوا ماذا يعتمل في اعماقي من عواطف واحاسيس .

وهذه قصة ، واحدة ، أقصها عليك أيها القارىء الصديق ، لتحكم منها ، لي أو علي !

تزوجت في ايطاليا بسيدة أمريكية كانت تزاملني في دراسة الفن ، وهي اليوم من أشهر مغنيات أمريكا . وكانت أيام تزوجتها تخضع نفسها لنظام دقيق خاص في الطعام ، يكفل لها ألا تجد السمنة طريقها الى جسمها .

وكانت في الوقت نفسه تعشق «طبق المكرونة » ولاتستطيع مهما اوتيت من قوة الارادة ، ان تقاوم « طبق المكرونة » الموضوع امامها ، فما بالك بأطباق المكرونة الشهية التي تفننت ايطاليا في صنعها ؟

كانت اذا رأت امامي « مكرونة » أقبلت تشاركني الاكل ، وكنت ابدوا سعيداً ، وهي تفعل ذلك ، فقد كانت تترك لي فرصة للتحكم ، فأتركها تأكل قدراً بسيطاً ثم امنعها من الاسترسال في الاكل ، فيبدوا لها حرصي على ألا تخرج على قواعد « الرجيم » ..

ومرت الايام ، وتلقيت برقية من القاهرة تقول ان أبي مريض وان اخي قد حجز لي مكانا في الباخرة من جنوا الى الاسكندرية .

وودعت زوجتي وداعاً حاراً ، وسافرت الى جنوا ، ووضعت حقائبي بالباخرة ، ثم خرجت الى الطريق لأقطع الوقت حتى يحين موعد اقلاعها .

ودخلت مطعماً ، ووضع « الجرسون » امامي طبق « مكرونة » .. وغمرتني فجأة حالة نفسية مؤلمة ، واصبحت أرى زوجتي وكأنها تملأ علي المطعم من حولي .

ولم أتردد .. اسرعت الى الباخرة ، وحملت حقائبي وعدت

الى الزوجة التي تركتها حزينة على فراقي ، نهبا « للرجيم » القاسي وطبق « المكرونة » الشهي ..

وعندما أقبل الليل ، جلسنا معا جنبا الى جنب ، وقد اختلطت دموعنا ، دموع السعادة ، بفتائل « المكرونة » اللذيذة ونحن نأكلها – كالعادة – من الطبق المشترك !

* * *

وكل مخلوق في مصر يعتقد انني « خمورجي » أسكر « طينة » حتى اكاد أفقد الوعي سكراً .

فهل تصدق أيها القارىء الصديق انني لا أشرب الخمر ابداً؟..

ان في بيتي خمس « بارات » مليئة باحسن انواع الخمور المعتقة ، ولكنني لا أذوقها ابداً !

وليست المسألة تمسكا بأهداب الفضيلة وحسب ، ولكن ذلك يرجع الى حادثة وقعت لي في أيام شبابي الاولى في ايطاليا ، أرعبتني من الخمر ، وحرمتني من ان أتذوقها ..

دعوت بعض أصدقائي الايطاليين ليلة الى تناول النبيذ في « بار » اشتهر بمخزنه الذي يحوي خير الانبذة المعتقة . وشربت حتى سكرت تماماً .

وخرجنا ، أصدقائي وانا ، شلة صاخبة ، ورويدا كنت أغيب عن وعيي حتى فقدته تماماً .

وأفقت فاذا بي طريح الفراش في المستشفى العام الذي «يشبه « قصر العيني » عندنا ، ولما أفقت وجدت أحد رجال البوليس يحرر لي محضر سكر وعربدة ..

ان بعض ادواري التي امثلها تقتضي ان أبدوا مخموراً ، وكم سمعت اصدقائي رواد المسرح يقولون لي : «عيب يا أبوحجاج.. يعني لازم تطينها بالشكل ده ... موش ممكن يكون تمثيل!.. انت لازم سكران طينة ! »

ووالله أنا ، مظلوم كله تمثيل في تمثيل ... فأنا منذ اتهمت بالعربدة في ايطاليا لم أذق طعم الخمر .

* * *

ولقد اشتهرت بين الناس بأنني « زئر نساء » وبأنني رجل مزواج .. و ..

ان الذي لا يعرفه الناس – وقد لا يصدقونه – انني حينما اتزوج اكون اخلص الازواج واكثرهم فهما الواجبات الزوجية وأصولها الاخلاقية .

لقد تزوجت السيدة الامريكية في ايطاليا لانني كنت اعاني قسوة الغربة .

ثم تزوجت سيدة كريمة ، ولم نوفق في حياتنا الزوجية لاختلاف مشاربنا وطباعنا ، ولأن عملي كفنان لم يلق هوى في نفسها .

واليوم اعيش مع زوجتي الثالثة كخير ما يكون الزوجان السعيدان .

لست اذن مزواجاً ، ولكنها الظروف التي جعلت الناس ينظرون الي بعين ظالمة .

* * *

والناس قد عرفوني دائماً قاتلا اسفك الدماء ، وكانوا يتندرون علي فيقولون : « ان يوسف وهبي قتل كل ابطال مسرحيته ، وليس امامه الآن الا ان يبدأ تقتيلا في الجمهور » !

وهذه ايضاً « سمعة » ظالمة لحقت بي ، فضحايا مسرحياتي لا يزيدون ابداً عن ضحايا مسرحيات شكسبير او غيره من كتاب المسرح العالميين .

ولكن روح « النكتة » وروح « التريقة » التي اتسم بها

جمهورنا المصري العزيز ، هي التي جعلتني قاتلا اسفك الدماء ، واقتل الممثلين ثم افكر في قتل الجمهور !

* * *

والناس يظنون ان يوسف وهبي « واعي حداً » لا يمكن ان يخدعه او ان يضلله احد ، وهذا والله ظلم غاية الظلم ، فكثيرا ما ثبت انني « مدرب » من احسن طراز .

قمت يوماً على رأس فرقتي في رحلة طفنا خلالها بأمريكا اللاتنية . واستقبلت هناك كما يستقبل الغزاة الفاتحون ، وكتبت عني الصحف ما لم تكتبه الصحف المصرية .

ولاحظت ونحن نقوم بتمثيل رواياتنا في احدى دول امريكا اللاتينية ، ان سيدة جميلة ، لا زلت اذكر وجهها الى اليوم — واعتقد انه اجمل وجه رأيته في حياتي — لاحظت انها قد حجزت لنفسها « بنوار » كانت تظهر فيه كل ليلة ، طوال مدة عملنا بالمسرح .

وذات ليلة تلقيت باقة جميلة من الورد وقد ارفق بها « كارت » يحمل اسم سيدة جميلة ، وقال لي حامل البطاقة انها تدعوني وزوجتي لتناول العشاء على مائدتها ، وانها تنتظرني

الآن وراء الكواليس لتعرف رأيي .

وأسرعت اليها فاذا هي سيدة « البنوار » وأخذني جمالها الفتان ، وسحرني حور عينيها، وقالت لي في صوت يدوب رقة :

- لقد أمتحنتني كل ليلة بتمثيلك المبدع . . . وكم أثر في تعبيرك عن الحب والكره والحنان . . . انني أعلم انك سترحل غداً الى مدينة اخرى ، فهل تقبل انت وزوجتك دعوتي للعشاء الليلة ؟

وكان الموقف مغرياً جداً،وسألت زوجتي الامريكية فوافقت .

وجلسنا ثلاثتنا حول مائدة هذه السيدة الحسناء المفرطة في الجمال الأخاذ وكانت تنتهز فرصة انشغال زوجتي في بعض الامور لتتحسس يدي أو تضغط قدمي ؟

وانتهت الدعوة بعد ان شكرت زوجتي للداعية حسن ضيافتها وعدنا الى الفندق . .

وفي الصباح احست زوجتي بمغص شديد ، واسهال وقيء فقالت لي : « لن استطيع السفر معكم . . . انني لا اقوى على مغادرة الفراش . . . سأنتظر يومين أو ثلاثة ثم ألحق بكم »

وسافرت وحدي مع الفرقة وكان « المتعهد » قد حجز لي

وزوجتي حجرة انيقة في فندق ممتاز، على حين حجز لبقية اعضاء الفرقة في فندق قريب مني . .

وذهبت الى الفندق وطلبت مفتاح الحجرة ، وكم دهشت عندما قال لي الموظف المختص : « لقد سبقتك المدام وأعطيناها المفتاح » !

وصعدت الى الحجرة على عجل ، وفتحت الباب وكدت اسقط مغشياً علي.. كانت هناك بجسمها الفاتن وعينيها الساحرتين سيدة « البنوار » . .

رأيتها وقد ارتدت ملابس النوم الشفافة وجلست تنتظرني كما تنتظر المرأة زوجها تماماً . .

ولما رأتني مدهوشاً قالت لي :

انني الليلة لك . .

وتمالكت نفسي وقلت :

– ولكن زوجتي . . ياسيدتي قد تجيء في اية لحظة . .

فابتسمت وقالت :

– اطمئن ..لقد رتبت الامر بنفسي .. . دست لها مخدراً في الشراب سيبقيها متوعكة في فراشها يومين او ثلاثة على الاقل.

ثم ابتسمت وقالت :

— تعالى . . تعالى . . اطمئن يا رمسيس بك .

وكانت ليلة ليلاء أرغمت على قضائها مع هذه المرأة اللعوب ارغاما . .

وفي الصباح قالت لي وهي تستعد للرحيل

— انني مسافرة الى ايطاليا يا حبيبي وسأبقى دائماً في شوق اليك ، فهل تقسم لي أن نلتقي هناك وانت في طريق عودتك الى مصر ؟

ووجدتني ، مأخوذاً بجمالها فأقسمت لها على ما تريد .

فعادت تقول :

انني واثقة من قسمك ولكنني أريد ضمانا على ألا يحول شيء بينك وبين الحضور . . اسمع عندي فكرة . . خذ هذا . . .

واعطتني صندوقاً مغلقاً وقالت :

— في هذا الصندوق اوراق ومجوهرات تخصني . . . ان مفتاحه معي فلا تحاول ان تفتحه . . . وعندما تجيء الى ايطاليا ابحث عني ليعطيني اوراقي وجواهري . . واعطيك انا حبي !

وسافرت الملعونة وتركت معي الصندوق . . . ولم تمض ساعات حتى اطبق علي البوليس باحثاً عنها . .

وارتجفت اوصالي ، وظننت ان زوجتي عرفت بالخبر ، وانها أبلغت البوليس من فراشها ليطبق علي مع عشيقتي بالفندق .

وخفت من الفضيحة ورحت أرجوا البوليس ان يرحمني وان يمنع نشر الفضيحة في الصحف .

وقال لي رئيس القوة :

أى فضيحة ؟ . . هذا لا يهمنا . . نحن يهمنا المرأة نفسها . . . كنا نريد القبض عليها قبل ان تهرب . . انها جاسوسة استولت على اوراق خطيرة وسرقت مجوهرات لا تخصها . .

وتذكرت الصندوق الذي تركته معي وقلت للضابط .

– تقول جاسوسة . . . لقد تركت معي صندوقاً وعدتها بأن آخذه معي عند عودتي لأسلمه لها في ايطاليا . .

واسرعت احضر الصندوق ، وكسره قائد القوة وعثر بداخله على الاوراق والمجوهرات التي كان يبحث عنها .

ونظر الي راضياً ثم قال :

– لك مكافأة عظيمة .

قلت سعيداً :

– ما هي ؟

قال :

– سنمنع الصحف من نشر انباء الفضيحة التي ترديت فيها في الليلة الماضية !

وهكذا تجدني ايها القارىء الصديق « مدبا » وفي استطاعة امرأة ساحرة ان توقعني في حبائلها الشيطانية .

* * *

وشيء أرويه لك هنا لايعرفه احد عني . . . ذلك انني استخدمت « التمثيل » يوماً لأتخلص من ورطة فظيعة . .

كنت اعمل « كومبارس » – كما قلت – بمسارح ايطاليا ، وكانت الطلبات تتدفق علي لأنني اشتهرت في الوسط المسرحي الايطالي بأنني « رمسيس بك » ابن الباشا الفرعوني . .

وقال لي زميل : «لو كنت تملك بدلة سهرة لتضاعف اجرك» .

ورغم أن النقود التي كنت أملكها لا تكاد تكفي لنفقات تعليمي الفني فقد قررت أن أبتاع بدلات للسهرة مهما كانت الظروف .

وأرشدني زميلي الى « ترزي » طيب ، وافق على ان يفصل لي ست بـدل سهرة مختلفة الأشكال ادفـع ثمنها على اقساط شهرية مناسبة .

وفصلت البدلات وتسلمتها ، وأصبحت اشهر « كومبارس » في ايطاليـا كلها . .

وفجأة ضاقت ذات يدي فتوقفت عن الدفع بعد سداد عدد من الأقساط .

وكان الترزي يجهل مكان سكني ، فلما كان يلاحقني على المسرح كنت اتفنن في « الزوغا » منه .

وذات يوم فوجئت به يمسك بتلابيبي في مطعم عام ، وقد بدا الشر في عينيه ، وراح صوته يرتفع وهو يكيل لي «الالفاظ» المنتقاة من قاموس الشتائم الايطالية .

وخشيت الفضيحة وقلت له : « ارجوك ... تعال معي الى محلك لأدفع لك حسابك » .

وذهبنا الى محله ، وكانت هناك زوجته وابنته الوحيدة الصغيرة . .

ووقف الرجل يواجهني وقال : « هات يا . . يا . . . » ! .

واتجهت أنا إلى طفلته اداعبها في حنان شديد ، وقلت له :

– هل كنت تظن انني سآكل حقك ؟ . . أنا رمسيس بك ابن أكبر العائلات في مصر ؟

وانفلت عيار الرجل فجأة ، وأخذ يسب ويلعن ويتهمني بأنني أراوغه . . . وتجمع الناس حولنا خارج المحل بعد ان سمعوا صرخـاته ، بل ان بعضهم دخـل الى المحل ليشترك في المناقشة .

وقررت ان ألجأ الى « التمثيل » لإنقاذ الموقف ... تشجنت واهتززت وصحت أمـام الناس بصوت تقطعه رنات الثورة والأسى واليأس :

– أيها الرجل . . . من تظنني ؟ أنا ابن الفراعنه . . . الباشوات . . أقسم لك برأس هذه الصغيرة الفاتنة ابنتك . . . أنني سأدفع لك بعد أيام حقك كاملاً .

ووصلت الى قمة « تمثيلي » عندما بدأ يتهدج صوتي . . . ثم بكيت بصوت مسموع .

ولمحت عيني الرجل وقد غمرها التأثر وكذلك الناس من حولنا فمضيت اقول:

– انها ابنتي الصغيرة في مصر . . . مريضة مملولة . . . ارسلت لها كل النقود لتعالج صدرها المريض ... ولهذا عجزت عن السداد لك .

وارتفع صوت بكائي ، وانهمرت الدموع غزيرة من عيني .

واذا بالدموع تطفر من عيني « الترزي » فجأة ... وإذا به يصرف الجمهور المتجمع المتأثر بالمشهد ، ثم اذا به يجرني من كتفي في رفق ويدخلني الى حيث تقيم الأسرة بالداخل .

فوجئت به يسرع الى دولاب ويخرج منه نقوداً ثم يعود ويعطيها الي قائلاً :

– خذ . . . أرسل هذا المبلغ أيضاً الى مصر لتعالج بـه أبنتك . . شفاها الله ...

وبكيت . . بكيت هذه المرة بحق وحقيق . .

بكيت ، فقد كان الرجل انساناً مرهف الحس ... وبكيت منتشياً بأنني أجدت تمثيل دوري حتى وصلت به الى القمة .

وبعد . . . فلم يبق إلا أن أذكر لك أيها القارىء الصديق شيئاً لا تعرفه عني .. مساوئي وحسناتي . . .

أما حسناتي – إذا وجدت – فأنا أفضل أن أحتفظ بهـا

لنفسي ..

وأما سيئاتي فلا بأس من أن أطلعك عليها :

- انني حسن الظن بالنـاس
- لاافكر بالغد ، ولهذا فأنا مسرف متلاف .
- أنا سريـع الرضى ، أنسى الإساءة وألدغ من الحجر عشرين مرة ! .
- متسرع دائماً مندفع في مشروعاتي .
- عاطفي بلا عقل أوتعقل .
- قلق لا أستقر في مكان .
- مستوحد..أخشى الإختلاط رغم قدرتي على مواجهة الناس
- لا أدافع عن نفسي مهما وجه الي من تهم.
- لا أحترس من الغدر .
- أحب الناس . . . من بعيد لبعيد . .

فهرست

صفحة

هذه المذكرات ٥

الفصل الاول

اشتهرت « بحمارتي » من يومي ٩

الفصل الثاني

عطيل جعلني ممثلاً ٢١

الفصل الثالث

غابة الشياطين علمتني الشجاعة ٣٢

الفصل الرابع

سلامه حجازي أنقذ طرابيشنا ٤٣

الفصل الخامس

تنكرت في زي شيخ هندي ٥٣

صفحة

الفصل السادس

بين حواء رقم ١ وحواء رقم ٢ ٦٤

الفصل السابع

حب وفواكه طائرة .. وفن ورياضة ٧٥

الفصل الثامن

عدت للجنة في قطار الموت ٨٦

الفصل التاسع

أنشأت جمعية سرية ٩٥

الفصل العاشر

استاذي العظيم ١٠٥

الفصل الحادي عشر

عندما فكرت في الانتحار ١١٣

الفصل الثاني عشر

مغامرة غرامية جعلت مني شهاما ١٢٥

صفحة

الفصل الثالث عشر

مربي عمره ١٤ سنة ١٣٥

الفصل الرابع عشر

الاميرة التي رقصت ... ١٤١

الفصل الخامس عشر

كان عندي محطة سرية ١٤٦

الفصل السادس عشر

ذكريات متناثرة ١٥٦

الفصل الاخير ١٦٣

مطبعة معتوق اخوان — بيروت

صدر

مذكرات

محمد عبد الوهاب ٢٠٠ قرش ل.

يوسف وهبي ١٥٠ » »

•

يصدر تباعاً

• محمود تيمور

• فاطمة رشدي

• بديع خاطر

• البيجوم - حياتي مع آغا خان

الثمن ١٥٠ قرش ل.